



The National Research Center for
المركز الوطني لأبحاث
Giftedness and Creativity الموهبة والإبداع

NRCGC



KFU
جامعة الملك فيصل
KING FAISAL UNIVERSITY
جامعة ووطن.. نماء.. واستدامة..

مجلة صدى الموهبة المركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع

سورة الاحقاف

المحتويات Contents

.....	كلمة مدير المکز الوطنی لأبحاث الموهبة والإبداع.....
.....	تقديم.....
.....	التربية بالحكمة: الدوافع والمكتسبات.....
.....	منصات التواصل الاجتماعي بين التسلية وإبداعية الاستخدام.....
.....	الخبرة وسر الأداء الإبداعي.....
.....	صناعة الموهبة.....
.....	الموهوبون ذوو الاستثناء.....
.....	تعزیز المواهب عبر برامج التعليم الشرفي.....
.....	دور المدرسة في رعاية الطلبة مزدوجي الاستثناء.....
.....	انعكاسات برامج التلمذة للطلبة ذوي الموهبة.....
.....	المواهب الإبداعية.....
.....	مختبرات الابتكار: منصات المستقبل لتطوير المجتمعات.....
.....	تواصل معنا.....



كلمة سعادة مدير المركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع:

إن رعاية الموهبة والإبداع ليست ترفاً أو خياراً، بل هي استثمار في أهم مواردنا الوطنية ولهذا، نسعى في المركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع إلى توفير بيئة تمكّن الموهوبين من النمو والتميز، من خلال تبني برامج نوعية، ودعم الأبحاث التي تُسهم في تطوير أساليب اكتشاف الموهبة وتنميتها، وتعزيز الشراكات مع المؤسسات التعليمية والبحثية داخل المملكة وخارجها.

إن نشر ثقافة الموهبة والإبداع في مجتمعنا يمثل ركيزة أساسية لبناء مستقبل مشرق، حيث تتعاظم أهمية الموهبة في عالمنا المعاصر بوصفها الأساس الذي تنطلق منه الأفكار الجديدة، وتتشكل من خلاله الحلول المبتكرة للتحديات. ومن هذا المنطلق، تأتي مجلة صدى الموهبة كأداة مهمة لتعزيز هذه الثقافة، وتوعية الجميع بأهمية اكتشاف الموهوبين ودعمهم ليكونوا عماد النهضة وقادة الغد.

وفي هذا السياق، جاءت مجلة صدى الموهبة لتكون نبراساً يهتدي به كل من يسعى للإبداع، ونافذة تُبرز الإنجازات الملهمة والابتكارات الواعدة. إنها ليست مجرد وسيلة إعلامية، بل هي منصة تفاعلية تسهم في بناء جسور التواصل بين الموهوبين والمجتمع، وتنقل تجاربهم وقصص نجاحهم لتكون مصدر إلهام للأجيال القادمة. من خلال هذه المجلة، نسعى لتجسيد رسالتنا في دعم الموهبة وتعزيز الابتكار، وذلك من خلال تقديم محتوى غني ومتنوع، يشمل مقالات علمية، ومبادرات ملهمة، وتقارير عن مشاريع مبدعة. كما نعمل على إبراز فرص الشراكات الفاعلة مع مختلف المؤسسات المحلية والعالمية التي تعزز من وصول الطلبة إلى آفاق أرحب من التميز.

ختاماً، نؤمن أن الموهبة والإبداع هما جوهر التقدم وأساس التنمية المستدامة. ومجلة صدى الموهبة هي إحدى الوسائل التي نسعى من خلالها إلى بناء مجتمع يقدر الإبداع، ويمنح الموهوبين الفرصة ليكونوا قادة وصناع المستقبل.



تقديم

مجلة "صدى الموهبة" هي منصة لرؤى فريدة تتبع للمركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع، تجمع بين الإبداع والتطلعات المستقبلية، في زمن تتسارع فيه وتيرة الابتكارات والاختراعات، لتكون منبراً يحتضن أفكار مواهب الشباب، ويبرز قصص النجاح والتميز في مختلف المجالات. نسعى في صفحات "صدى الموهبة" إلى تسليط الضوء على الأفكار المتميزة، والجهود الإبداعية التي تشكل اللبنة الأساسية لمستقبل واعد ومشرق، في ميادين العلوم أو التكنولوجيا أو الفنون، وغيرها من المجالات الإبداعية، من خلال تقديم مقالات متعمقة، ولقاءات حوارية ملهمة، وتقارير تُبرز رحلة الإبداع من الفكرة إلى التنفيذ، من خلال أعداد متتابعة ومتسلسلة.

نهدف في "صدى الموهبة" إلى بناء جسر يربط بين الطموح والواقع، وتوفير منصة للتفاعل وتبادل الخبرات، تحفز كل من يحمل شغف الإبداع والابتكار، وتدعو كل من يطمح ويسعى لتحقيق طموحاته، إلى الانضمام إلينا في هذه الرحلة الرائعة، لنكتب معاً قصة نجاح تضيء دروب المستقبل وتعيد للأمل بريقه الحقيقي، إيماناً منا بأن الإبداع ليس مجرد كلمة، بل هو قوة تغيير تسمو بالمجتمعات نحو التقدم والازدهار. نستعرض في هذه البداية المشرقة، مقالات العدد الأول من مجلة "صدى الموهبة"، التي تسلط الضوء على موضوعات متنوعة مثل: التربية بالحكمة: الدوافع والمكتسبات- الاستخدام الإبداعي لمنصات التواصل- الخبرة وسر الأداء الإبداعي.

ندعوكم لاستكشاف المزيد من المحتوى الذي يعدكم برحلة معرفية وإبداعية فريدة، حيث تتلاقى الأفكار مع التطبيق العملي، وتصبح الرؤية الطموحة واقعةً ينبض بالحياة. مع كل عدد جديد، نعدكم بأن نرتقي بكم إلى مستويات أعلى من التميز، ونفتح أمامكم آفاقاً لا حدود لها للإبداع والابتكار في عالم متجدد دائماً.

التربية بالحكمة: الدوافع والمكتسبات



أ.د/ أسامة محمد عبد المجيد إبراهيم
أستاذ علم النفس التربوي بجامعة سوهاج، مصر
مستشار بهيئة التقويم التعليم والتدريب بالمملكة العربية السعودية

تعد الحكمة أحد أهم دعائم رأس المال الاجتماعي، وهي تمثل رافداً وإرثاً ثقافياً للأجيال القادمة في أي مجتمع. وقد مثلت الحكمة موضوعاً محورياً في الفلسفات القديمة، لا سيما فيما يتعلق بالدين والفلسفة، بيد أنها لم تكن موضوعاً للبحث العلمي.

وتمثل الحكمة موضوعاً شيقاً للبحوث التربوية لسببين على الأقل: أولاً، لأن دراسة الحكمة تؤكد السعي نحو التحسين المستمر، والتطور الثقافى والنوعى لحالة الإنسان. ثانياً، لأن الحكمة تمثل أحد المفاهيم التي تجسر العلاقة بين العمليات المعرفية والعاطفية والدافعية. وقد وُصفت الحكمة في الكتابات النفسية المبكرة بأنها "نقطة نهاية مثالية للتطور الإنساني". ويذهب بعض التربويين إلى حد اقتراح "الحكمة كهدف أساسي للتربية".

لا تركز النظم التربوية الحديثة على إكساب المتعلمين المعرفة فقط، بل أيضاً الاستخدام الحكيم لهذه المعرفة. وفي هذا الإطار، تعمل النظم التعليمية المتقدمة على إتاحة الفرصة للتفاعل بين الأجيال لنقل الخبرات والمعرفة المتراكمة لدى الكبار لاستخدامها في تلبية الحاجات الأكاديمية والاجتماعية.

وينطوي تطور الحكمة على جهد فعال ومستمر بين الأفراد والسياق البيئي والثقافي الذي ينشؤون فيه. وقد أظهرت العديد من برامج تحصين الشباب أن تحقيق الكفاءة الاجتماعية والانفعالية تؤثر تأثيراً إيجابياً على نمو الشباب، وتحسّن مخرجات التعلم. وقد طرح بعض الباحثين "الحكمة" كمؤشر على المحصلة النهائية لمخرجات التعلم في المرحلة الجامعية.

وتوفر بحوث علم النفس، بتركيزها على التفكير والسلوك، في سياق اجتماعي، أرضية مثالية للأعمال عبر الثقافية عن الحكمة. فعلى النقيض من مواضيع عديدة في مجال البحوث النفسية، فإن مفهوم "الحكمة" يتمتع بخلفية تاريخية وفكرية ثرية، ويحمل العديد من الارتباطات الدينية والفلسفية التي تبدو أنها تتحدى إخضاعها للدراسة التجريبية.

ومنذ بداية البحوث النفسية عن الحكمة، ظل السؤال عن ماهية "الحكمة" هو السؤال الأكثر أهمية. ويرى البعض أن يقتصر استخدام مفهوم "الحكمة" أو "الحكيم" على المسائل الوجودية والقضايا غير اليقينية في الحياة، حيث يُدعى الشخص أو القرار "حكيماً" فقط عندما تتوافر فيه مجموعة من المعايير بشكل كامل. وقد ارتبط مفهوم الحكمة بإتقان الجدل حول القضايا الجوهرية التي تشكل أو تصوغ الوجود البشري، مثل: العلاقة الجدلية بين الخير والشر، والإيجابية والسلبية، والتبعية والاستقلال، واليقين والشك، والتحكم والافتقار إلى السيطرة، والفناء والخلود، والقوة والضعف، والإيثار والأنانية. تحتضن الحكمة كل هذه التناقضات في الحياة، ويقتبس الأشخاص الحكماء من خلالها الاستبصارات الحكيمية.

ويعتقد روبرت ستيرنبرغ أن "الحكمة ما هي إلا القدرة على الموازنة بين الأمور؛ فالشخص الحكيم هو الشخص الذي لديه القدرة على الموازنة العقلية بين نتائج الأمور على المدى القصير والمدى البعيد، وبين المصلحة الشخصية ومصالح الآخرين، وذلك مع الأخذ في الاعتبار جميع الخيارات المتاحة، وفقاً للوضع القائم، أو من خلال السعي لتشكيل وضع جديد". وفقاً لهذه الرؤية، فإن ما نحتاج إليه هو أن نحاول أولاً أن نعرف المصالح المختلفة التي يمكن أن تتضمنها أي معضلة تمر بها، سواء على المدى البعيد أو على المدى القصير، مع الانتباه إلى الظروف المتغيرة المحيطة بالموقف، وكيف يمكن أن تتشكل.

في الحقيقة، لا يُتصور وجود الحكمة دون فضيلة؛ فالحكمة في جوهرها هي الجمع بين كمال العقل والفضيلة. وفي هذا الصدد يميز الباحثون بين الحكمة والذكاء، فقد يكون المرء ذكياً لكنه لا يكون حكيماً. فالشخص الحكيم لا يغيب مطلقاً عن نظره المصالح العام، فأى قرار لا يأخذ في الحسبان المصالح العام لا يعد قراراً حكيماً، وإن اتصف بالذكاء.

وعادة يذكر الباحثون قائمة طويلة من الصفات التي تميز الحكماء، مثل: عمق التفكير، والهدوء في أوقات الأزمات، والقدرة على الرجوع خطوة للوراء، والقدرة على رؤية الصورة الكلية للأمور، وقدرة على تأمل الذات، وإدراك حدود معرفتهم الخاصة، والتفكير في البدائل، وإدراك حقيقة أن العالم يتغير على الدوام.

وتتضمن الحكمة المعرفة العميقة بالحقائق مما يجعل الفرد قادراً على الحكم الجيد على الأمور الجوهرية في الحياة التي يحيط بها الشك، كما تتضمن الفهم العميق للذات وللآخرين، والاستخدام النشط للمعرفة، والقدرة على التعلم من الأفكار والبيئة، مع حدة الذهن، والبصيرة، والقدرة على إصدار الأحكام.

ويُعد الانفتاح العقلي أحد الخصائص الشخصية المهمة التي تسهم في تطور الحكمة. وقد اقترح البعض أن القدرات المتداخلة بين الذكاء والشخصية التي تتعلق بالحكمة تتضمن الذكاء الاجتماعي والمنطق الأخلاقي، والإبداع. ومن حيث الأداء النفسي للشخصية الحكيمة، هناك ثلاثة جوانب ينبغي أن تتكامل في هذا السياق: بصيرة عميقة وواسعة عن الذات والآخرين والعالم؛ وتنظيم العاطفة وما يتطلبه ذلك من تسامح مع الغموض؛ وتوجه يتجاوز المصالح الذاتية واستثمارها في رفاه الآخرين والعالم (الإيثار).

وينظر البعض إلى الحكمة كـ "موجهات عالية الرتبة" تنظم المعارف والاستدلالات والمعينات التي تتوفر للأفراد عند إدارة التخطيط، وتقييم القضايا الأساسية للحياة. وتتفق هذه الرؤية عن الحكمة مع آراء أخرى ترى أنها تتطلب إماماً بمعارف عميقة وخبرة أو الاستخدام الخبير للمعرفة. وقد وصفت أنواع المعرفة المرتبطة بالحكمة بأنها تتضمن كفاءة وفهم استثنائي، ومعارف تقريرية وإجرائية ثرية، وإدراك لحدود المعرفة، وأحكام تأملية.

وفي دراستهم للحكمة، يحاول علماء النفس الإجابة عن سؤال قديم: هل الحكمة يمكن اكتسابها؟ الجيد هو أن الكثير من الباحثين يرى أن ذلك ممكناً؛ إذ يعتقد الباحثون أن الحكمة ليست مجرد سمّة فطرية، إما أن تُؤدَّ معناً أو لا تمتلكها على الإطلاق. هذه النظرة تحمل الكثير من التفاؤل، فهذا يعني أنه يمكننا السعي من أجل إنشاء جيل أكثر حكمة، على الأقل في بعض الأحيان. فقد تبين للباحثين أن البعض يبذلون جهوداً في بعض المواقف، ولا يكونون كذلك في مواقف أخرى، أي أننا لا نكون حكماً طوال الوقت.

وينظر بعض الباحثين إلى الحكمة كمرحلة متقدمة من النمو العقلي تتخطى مرحلة العمليات المجردة لدى بياجيه، وهي مرحلة ما بعد العمليات المجردة. في هذه المرحلة، يكون الفرد أكثر قدرة على النظر إلى المشكلات من زوايا ووجهات نظر متعددة، وأن يفكر تفكيراً تأملياً وجدلياً بشكل أفضل، وأن يتواصل مع السياقات المعقدة والمشحونة انفعالياً بشكل أكثر تمعناً.

ويبلغ تطور الحكمة ذروته في مرحلة البلوغ في صورة نمو ذاتي إيجابي وتفكير مميز لمرحلة ما بعد العمليات المجردة، حيث يفقد الأشخاص أثناء السنوات المبكرة من البلوغ إلى التعقيد المعرفي، ومهارات التفكير المجرد اللازمة لاتخاذ قرارات عقلانية، مما يحد من القدرة على التصرف بحكمة. ومع التقدم في العمر، يساعد النمو المستمر في النواحي المعرفية والانفعالية والاجتماعية على اكتساب الحكمة.

وقدمت بحوث الحكمة أدلة على الدور الذي تقوم به بعض الظروف الحياتية، مثل أحداث الحياة المتحدية، في تيسير تطور الحكمة، لأنها تزيد من التمايز من خلال تغييرات التكيف، والتي تؤدي بدورها إلى مزيد من التسامح مع الغموض وعدم اليقين، وميل أقل نحو تصور الأفكار على أنها حقائق ثابتة، وميل ضعيف نحو الأنانية. ويمكن للخبرات الإيجابية أيضاً أن تيسر الحكمة عن طريق تعزيز التكامل والتماسك. وقد تتوسط القيم الثقافية هذه الخبرات.

وتشير بعض الأعمال التجريبية أن العديد من لبنات الحكمة الهامة تنبثق خلال مرحلتي المراهقة والشباب، وأن مرحلة المراهقة تعد فترة حاسمة لتطور الحكمة. وعلى الرغم من أنه من غير المرجح أن يكون طلاب الجامعة قد حققوا مستويات عالية من الحكمة، فإن تطور الحكمة كمتصل يتوزع عليه جميع الأفراد، بمن فيهم طلاب الجامعات، يمكن أن تمثل موضوعاً للدراسة.

ويعتقد بعض الباحثين أن الحكمة تتطور كلما تقدم بالإنسان العمر، إلا أن بعض الأعمال التجريبية تؤكد أن العديد من البذور الهامة للحكمة تنبثق خلال مرحلتي المراهقة والشباب. وهناك من الشواهد ما يدعم فكرة أن المراهقة فترة حاسمة في تطور الحكمة.

وقد نصت استراتيجية التنمية الشاملة بعيدة المدى لدول مجلس التعاون لأعوام ٢٠٢٥-٢٠٠٠ على أن غايتها المحورية هي تحقيق مسيرة تنمية مستدامة ومتكاملة لدول المجلس في كافة المجالات وصولاً إلى الارتقاء المتواصل بنوعية الحياة فيها، وتحقيق قدرة ذاتية للتكيف مع مستجدات وتحديات القرن الحادي والعشرين. ولا شك أن تحقيق هذا الهدف لا يتأتى بدون بناء جيل قادر مفكر وحكيم. كما تعاني الثقافة العربية اليوم من مجموعة متنوعة من الاتجاهات السلبية التي كثيرا ما عكست وعززت في مجال التعليم. وتشمل هذه الاتجاهات المتزايدة تناقص الشعور بالماضي والمستقبل لصالح الحاضر، وانخفاض قيمة التفكير الناقد لصالح السطحية والإثارة، والاستهلاك المفرط للسلع وتسويقها. وفيما يتعلق بالتعليم، هناك تركيز متزايد على المبتكرات ذات التكنولوجيا الفائقة، والراحة والسرعة أكثر من العمق، والعمل الجاد، والتفكير المستمر، والأنانية على حساب المسؤولية الاجتماعية وحب المعرفة؛ والاتجاه نحو تقديم تعلم مجزأ بدلاً من تقديم منهج تعليم متكامل. وفي هذا السياق، تمثل الاهتمام بغرس التفكير القائم على الحكمة أحد أهم مخرجات التعليم التي يجب السعي إلى غرسها في نفوس الناشئة.

خلاصة القول: إن الحكمة هي أعلى مراحل الارتقاء الإنساني، وبلوغ هذه المرحلة يتطلب جهداً مواصلة النمو في النواحي العقلية والاجتماعية والعاطفية والأخلاقية، وقدرا من التكامل بين الأبعاد العقلية والوجدانية والأخلاقية، وإلماماً بمعارف تقريرية وإجرائية وسياقية. يحدث تطور الحكمة على مدار الحياة، وتعد مرحلتا المراهقة والشباب حاسمتين في تطور لبنات الحكمة.

وقد ناقش بعض الكتاب المعاصرين أن التركيز على الحكمة في التعليم سوف يفيد إلى حد كبير المجتمع الحديث والممارسات التربوية. وإذا افترضنا أن الحكمة تؤثر بقوة على حل المشكلات واتخاذ القرار في عالمنا المعاصر، فإننا بالتركيز على الحكمة كهدف رئيس للتربية يمكن أن نحرز تقدماً كبيراً في حل المشكلات الاجتماعية اليوم، وسنوجد عالماً أفضل للغد. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن يكون السعي إلى تحقيق وممارسة الحكمة هو أحد الركائز الرئيسة للتعليم، وأن تكون الحكمة السمة المركزية التي نمارسها كمعلمين، والفضيلة الأساسية التي نحاول غرسها وتنميتها في طلابنا. إن تنمية العقل الأخلاقي، إلى جانب المعارف والمهارات، هو ما ينبغي التركيز عليه في صميم التعليم والتساؤل الأكاديمي.

ويجب أن تعمل الجامعات في هذا الصدد على زيادة فرص التواصل بين الطلاب والخبراء البالغين بما يسمح للشباب من الاستفادة من النصح والإرشاد ومن حكمة ونضج وخبرات الكبار. ويجب أن تهيج الجامعات بيئة ميسرة لنمو علاقات جديدة وتقديم الدعم من خلال التفاعلات الاجتماعية القائمة به. ويجب أن يتضمن إعداد الطلاب محاضرات ومناقشات وتمارين تصمم لتزويد الطلاب بالمهارات اللازمة لفهم الذات والحياة وإصدار الأحكام وحل الصراعات ومهارات الاتصال التي تتضمن التفاوض لحل المشكلات، ومهارات الاستماع، والتعاون وبناء الفريق. هذا من شأنه أن يساعد على تحفز التفكير الجدلي والتكاملي والمرونة المعرفية لدى الطلاب، ومن ثم اكسابهم مزيداً من الحكمة في التعامل مع الحياة واتخاذ القرارات.

ليس الأمر كما لو أننا سننشئ جيلاً من الحكماء كـ "لقمان الحكيم"، لكن سوف يكون لدينا جيلاً أكثر حكمة من ذي قبل.

منصات التواصل الاجتماعي بين التسلية وإبداعية الاستخدام



د. شعيب جمال محمد صالح

أستاذ مشارك بالمركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع

نعيش اليوم عصر المعلوماتية والإنترنت والحاسوب، والتي فرضت بدورها العديد من المفردات والألفاظ والظروف الجديدة، وباتت مواقع التواصل الاجتماعي عنصراً مهماً ورئيساً في حياتنا، نستقبل من خلالها شتى أنواع الفكر الديني والسياسي والاجتماعي والترفيهي والعلمي، وعلى الرغم من وجود إيجابيات كثيرة في مواقع التواصل، من أهمها دور هذه المواقع كمنصات سريعة تستدعي الأخبار والمعلومات في وقت قياسي، وكذلك توفيرها لفرص عمل، وتطوير الأداء الوظيفي، وغير ذلك، إلا أنها لا تخلو من سلبيات ومخاطر على المجتمع، من أبرزها ما يتعرض له أبنائنا من خلالها، من معلومات غير دقيقة ومضللة، وتعارض مع هويتنا وديننا وثقافتنا.

وقد أدركت العديد من الدول التحديات التي تفرضها الظروف المتجددة للمجتمع العالمي، حيث لم تعد العادات المألوفة كافية لمواجهة المواقع الجديدة، فكل موقف جديد ينطوي على مشكلات متنوعة تتطلب طلاقة في التفكير ومرونة في التنفيذ وأصالة وتضرداً في الحل، فالعصر الذي نعيش فيه يحتاج إلى العقول المبدعة، القادرة على تكييف ظروفها وحاجاتها مع التغيير الذي يحدث في البيئات المحيطة.

وفي ظل تزايد انشغال الأسر عن أبنائنا بأعمالهم وأمورهم الاجتماعية والعملية، نواجه في وقتنا الحاضر تهديداً لأمننا الفكري، الذي يُعدُّ بُعداً استراتيجياً لأمننا الوطني، تتطلب المحافظة على سلامته غرس الفكر السليم، والمعتقد الصحيح المعتدل، والقيم والأخلاق الحميدة، وارتباط البعد الفكري بهويتنا الوطنية يُعدُّ الأساس لأمن الفرد وأمن الوطن، لمواجهة ما يهدد تلك الهوية من أفكار هدامة، تنعكس سلبياتها على مجتمعنا. ولذلك فإن المحور التعليمي والتربوي هو المحور الأهم في تنمية الوعي الفكري لدى أبنائنا.

وحتى نكون في مأمن من خطورة تلك المنصات علينا أن نتعلم، ونُعلِّم كيف نتسلح بمهارات التفكير، وأوصت العديد من المؤتمرات بضرورة قيام المؤسسات التربوية والتعليمية بالعمل على توعية الطلبة في المراحل التعليمية المختلفة باستخدامات منصات التواصل الاجتماعي والتأكيد على تنمية مهارات التفكير المختلفة لديهم لئتمكنوا من فرز ما يعرض عليهم من أفكار وآراء، وعدم الانسياق وراء الدعوات الهدامة التي تضر باستقرار وأمن المجتمع

وفق تقرير الاتحاد الدولي للاتصالات لعام ٢٠١٧م. يستخدمه في العالم ٣,٤ مليار مستخدم، منهم ٨٣٠ مليون شاب، وأوضحت هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات: أن مستخدمي الإنترنت في المملكة العربية السعودية يصلون إلى ٢٤ مليون مُستخدم، معظمهم من فئة الشباب، إذ تفودنا هذه الأرقام إلى أهمية الحديث عن مفهوم الأمن الفكري، وسبر أغواره؛ نظراً لأهميته في حصانة الفكر الوطني من الأفكار الهدامة والمضللة.

ونتيجةً للتغيرات المتسارعة التي يعيشها العالم، وقع شبابنا في تشتت واضح في الأهداف والغايات، حيث أدت هذه التغيرات إلى عدم مقدرة الشباب على التمييز الواضح بين ما هو صواب، وما هو خطأ؛ مما أدى إلى حدوث أزمة فكرية، كان لها أثراً كبيراً في وضع الشباب للتمرد والثورة على القيم، واغترابهم شبه التام عن القيم التي جاءت بها الثورة العلمية التكنولوجية.

ويتطلب التعامل الصحيح مع منصات التواصل الاجتماعي مجموعة من مهارات التفكير الناقد والإبداعي، وغياب مثل هذه المهارات عن مسرح التواصل يجعل تلقي المعلومات من مثل هذه المواقع يمثل خطورة على أمن واستقرار المجتمعات، ففي هذه المواقع يمكننا أن نتنبأ بأي ردة فعل ممن لا يجيدون فنون النقد للمطروح، وينظرون لهذه المواقع على أنها مواقع (درشنة) يبيع لهم الاختباء خلف أسماء مستعارة أو حتى حقيقة ليست لهم؛ لنضث السموم المجتمعية من تأجيج، وبالتالي يسهل عليهم قول ما يشاءون متى يشاءون، دون حسيب، وركيب كما يظنون.

ومما لا شك فيه هناك أهمية كبرى بضرورة توظيف المهارات المختلفة للتفكير الناقد والإبداعي لمواجهة انعكاسات منصات التواصل الاجتماعي وأثارها على الأمن الفكري لديهم، ويقصد بالتفكير الناقد الحكم المنظم ذاتياً والذي يهدف إلى التفسير، والتحليل والتقييم، والاستنتاج، وإلى جانب ذلك فإنه يهتم بشرح الاعتبارات المتعلقة بالأدلة والبراهين، والمفاهيم، والطرق والمقاييس والتي يستند إليها الحكم الذي تم التوصل إليه. والتفكير الإبداعي هو العملية التي تقود إلى ابتكار حلول جديدة للأدوات أو الأفكار والمناهج المكونة للمشكلة، فهو نشاط علمي مركب وهاذف يوجه إلى رغبة قوية في البحث عن الحلول، أو التوصل إلى نتائج أصلية لم تكن معروفة مسبقاً، أما من ناحية المفهوم التربوي للتفكير الإبداعي فهو العملية التي تساعد المتعلم على أن يصبح أكثر حساسية للمشكلات وجوانب النقص والثغرات في المعلومات واختلال الانسجام وما شاكل ذلك، وتحديد مواطن الصعوبة والبحث عن حلول وصياغة فرضيات واختبارها وإعادة صياغتها أو تعديلها من أجل التوصل إلى نتائج جديدة ينقلها المتعلم للآخرين. ويعرف الاستخدام الناقد والإبداعي لمنصات التواصل الاجتماعي إجرائياً بأنه قدرة الفرد على الإلمام بخصائص كلا من التفكير الناقد والإبداعي وترجمتها في شكل ممارسات سلوكية يتم توظيفها بشكل فاعل عند التعامل مع منصات التواصل الاجتماعي المختلفة.

وتعتبر منصات التواصل من أهم تطبيقات الويب ٢.٠ لما تقدمه من دعم في التواصل الاجتماعي والتفاعل، والتعارف، الصداقة، المراسلة، والمحادثة بين الأفراد، زد على ذلك إمكانية تعليق المستخدم على المادة المكتوبة والمرئية، وإضافة المحتوى والتعديل والتغيير فيه. وتضاربت الآراء على قبول أو رفض انتشار منصات التواصل الاجتماعي على الشبكة العالمية للإنترنت، وذلك لما تحتويه هذه المنصات على مجموع من الآثار الإيجابية منها: توفير قنوات للتواصل مع الآخرين، ومن لديهم الاهتمامات نفسها في مجال معرفي معين- وسهولة التواصل بين المتعلمين والمعلمين- إكساب المتعلمين مهارات أخرى كالمناقشة وإبداء الرأي.

ومن أهم الآثار السلبية لمنصات التواصل الاجتماعي ما يلي: إضاعة الوقت، والعزلة الاجتماعية، وانتشار الشائعات- التسرع في تكوين صداقات مع الآخرين دون التحقق من خلفياتهم الفكرية والأخلاقية- نسخ معلومات واستعمالها كأنها شخصية، وهذه الظاهرة لها أبعاد سلبية فهي تؤدي إلى ضياع حقوق الملكية الفكرية- سهولة مراقبة الشخص عبر الشبكة الاجتماعية- نشر الأفكار الضالة مثل: الترويج للعنف والمشاركة فيه- التعرض للجرائم الإلكترونية من الاختراقات، والفيروسات الضارة. ورغم كل السلبيات السالفة الذكر إلا أن منصات التواصل الاجتماعي تقدم العديد من المزايا لعملية التعلم منها: خلق جو من التواصل في مجتمع افتراضي بين مجموعة من الأشخاص على موقع واحد تختلف وجهاتهم ومستوياتهم وألوانهم، وتتفق لغتهم التقنية- نشر الثقافة التقنية وتوسيع مدارك المتعلمين باطلاعهم على أحدث المستجدات في مجال دراستهم- سهولة استعمال الرموز والصور والأصوات والنصوص في أن واحد والتفاعل معها- تحطيم الحدود الدولية وإلغاء الحواجز الجغرافية والمكانية- التفاعلية من خلال إلغاء الدور السلبي للفرد، فلم يقتصر دوره على استقبال وقراءة المعلومات بل أصبح مرسل وكاتب للمعلومات ومشاركاً لها- التنوع وتعدد الاستعمالات فيستعملها الطالب والمعلم والكاتب.... وغيرها من الاستعمالات المتعددة النافعة- الاقتصاد والتوفير حيث أن استعمالها أدى إلى الاختزال في الزمن والمكان فضلاً عن الاقتصاد الكبير في الجهد والمال.

منصات التواصل الاجتماعي ليست مجرد أدوات عابرة في عالمنا الرقمي، بل أصبحت ركيزة أساسية تؤثر على العديد من جوانب الحياة، بدءاً من التفاعل الإنساني اليومي وحتى الابتكار والإبداع. فهي تشكل حلقة وصل بين الأفراد، وتمنحهم الفرصة ليكونوا أكثر من مجرد مستهلكين للمحتوى، بل صانعين له، في وقت بات فيه التعبير عن الذات والإبداع جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الرقمية الحديثة. وتعتبر التسلية أحد أبرز جوانب منصات التواصل الاجتماعي، إذ إنها تسد حاجة الإنسان الطبيعية للترفيه والمتعة. هذه المنصات تزخر بالمحتوى الممتع مثل الفيديوهات القصيرة، الميمز، والتحديات الفيروسية التي تجذب مختلف الفئات العمرية. ومع تطور التكنولوجيا، أصبحت التسلية على هذه المنصات تفاعلية أكثر من أي وقت مضى، حيث تُشجع المستخدمين على المشاركة من خلال التعليقات، الإعجابات، وإعادة نشر المحتوى، مما يعزز الشعور بالانتماء لمجتمع افتراضي واسع.

في المقابل، تحمل منصات التواصل الاجتماعي إمكانيات هائلة لتحفيز الإبداع. أصبح كل مستخدم يمتلك هاتفاً ذكياً وكاميرا متصلة بالإنترنت قادراً على إنتاج محتوى مميز، مثل تصوير فيلم قصير، إنشاء تصميم فني، أو تأليف موسيقى ومشاركتها مع جمهور عالمي. لم تعد الموارد المحدودة عائقاً أمام الإبداع، بل على العكس، فتحت هذه المنصات أبواباً للأفكار المبتكرة لتصل إلى العالم بأسره دون قيود جغرافية أو اقتصادية، علاوة على ذلك، نجحت هذه المنصات في كسر الحواجز بين المبدعين والجمهور. فبدلاً من الاعتماد على قنوات تقليدية مثل التلفزيون أو دور العرض، يمكن لأي فرد الآن أن يصل إلى الملايين بمجرد نشر منشور واحد. هذا الأمر ساهم في خلق بيئة جديدة للمواهب الشابة، التي أصبحت تجد طريقها للنجاح عبر هذه القنوات الرقمية.

ومن أحد الجوانب المميزة لمنصات التواصل الاجتماعي هو قدرتها على الجمع بين الترفيه والتعليم، حيث أصبحت هذه المنصات مساحات للتعلم بأسلوب ممتع. على سبيل المثال، نجد الكثير من الحسابات التي تقدم محتوى تعليمي بطريقة مبتكرة وسلسة، سواء كان ذلك في مجالات العلوم، التكنولوجيا، الفنون، أو حتى تطوير الذات. هذا النوع من المحتوى يحقق انتشاراً واسعاً لأنه يقدم المعرفة بشكل بسيط وجذاب، مما يجعله وسيلة فعالة للوصول إلى جمهور كبير. من جهة أخرى، تؤدي هذه المنصات دوراً بارزاً في تشكيل الوعي المجتمعي وتعزيز الحوارات البناءة. فهي تُستخدم كمنابر لدعم قضايا مثل حقوق الإنسان، البيئة، والصحة النفسية، مما يجعلها أدوات مؤثرة في تغيير المفاهيم ودفع التغيير الإيجابي. على سبيل المثال، كانت هناك العديد من الحملات العالمية التي انطلقت من منصات التواصل الاجتماعي وأحدثت فرقاً كبيراً في مجتمعاتها.

لكن على الرغم من كل هذه الفرص، فإن منصات التواصل الاجتماعي ليست خالية من التحديات. انتشار الأخبار الزائفة، التنمر الإلكتروني، والإدمان على هذه المنصات يمثل بعضاً من المشكلات الرئيسية التي تؤثر على المستخدمين. ومن هنا، تظهر الحاجة الماسة للتوعية الرقمية، التي تساعد الأفراد على استخدام هذه المنصات بطريقة مسؤولة، توازن بين فوائدها ومخاطرها. ومع استمرار تطور التكنولوجيا، يبدو أن منصات التواصل الاجتماعي ستصبح أكثر تقدماً وشمولية، مع تعزيز استخدامات الواقع الافتراضي والذكاء الاصطناعي. هذه التطورات تفتح آفاقاً جديدة للإبداع والتفاعل، لكنها في الوقت نفسه تفرض تحديات إضافية تتعلق بالخصوصية والتحكم في المحتوى.

ختاماً، منصات التواصل الاجتماعي هي سلاح ذو حدين، يتوقف أثرها على كيفية استخدامها، حيث يمكن أن تكون وسيلة للترفيه البسيط أو أداة لتحقيق الإنجازات الإبداعية والمهنية. ما يميزها هو قدرتها على التكيف مع احتياجات الأفراد وتطلعاتهم، ولكن يبقى الدور الأهم على عاتق المستخدم في تحديد الطريقة التي يرغب في استخدامها بها، بحيث تصبح منصات التواصل الاجتماعي وسيلة لإثراء الحياة، وليس مجرد استنزاف للوقت والطاقة، فمن خلال الاستخدام الواعي والمتوازن، يمكننا تحويل هذه المنصات إلى أدوات لبناء الذات، وتعزيز المهارات، والتواصل مع العالم بطرق تعزز من جودة حياتنا وتوسع آفاقنا.

الخبرة وسر الأداء الإبداعي



أ.د/ أسامة محمد عبد المجيد إبراهيم
أستاذ علم النفس التربوي بجامعة سوهاج، مصر
مستشار بهيئة التقويم التعليم والتدريب بالمملكة العربية السعودية

الخبرة هي الإتقان عالي المستوى للمعرفة الإجرائية الصريحة والضمنية لمجال ما. ويقدر الباحثون عدد وحدات المعرفة الصريحة الأساسية للخبراء بنحو مائة ألف وحدة أو أكثر من المعلومات والمهارات المعرفية الإبداعية والمتقاربة. قد يستغرق بناء الأداء الخبير نحو عشر سنوات من العمل الجاد أو ١٠,٠٠٠ ساعة من التدريب الهادف والمدرّوس (وهو ما يعرف بقاعدة العشرة آلاف ساعة). وحال اكتساب هذه المعرفة، يستطيع الخبير حل المشكلات ووضع تصاميم جديدة بطلاقة، وسهولة، وثقة.

يعتقد كثير من الباحثين اليوم أن الخبرة لا تعتمد بشكل أساسي على القدرة العقلية قدر اعتمادها على التدريب الهادف والمدرّوس. ولهذا فإن نصيحة الخبراء للمبتدئين دوماً هي الممارسة، ثم الممارسة، ثم الممارسة (الهادفة والمدرّوسة). قد يقوم معلم بتدريس مادته بالطريقة نفسها لسنوات عديدة، معتقداً أن الممارسة في نهاية المطاف سوف تحسن تلقائياً من أدائه. لكن للأسف مثل هذا المعلم ليس من المحتمل أن تطرأ تحسينات جوهرية على أدائه توازي سنوات عمله، فهو يكرر نفس الخبرة دون أن يضيف إليها شيء (مجرد خبرة سنة واحدة تكررت عشرين مرة!).

إن نقل المعرفة هي مجرد تكرار للتعلم المعتمد على الذاكرة، أما الاحتفاظ الطلق والعمل بالمعرفة المنظمة عقلياً بصورة جيدة والقبالة للاسترجاع بسهولة، يعدّ مكوناً أساسياً للأداء الرفيع المستوى. إن القاعدة المعرفية المنظمة جيداً ضرورية في جميع عمليات المعالجة المعرفية المتطورة. ولهذا، فمن المفترض أن تتميز قاعدة معلومات الخبير ليس بالاتساع فحسب، ولكن أيضاً بالتنظيم الجيد ضمن فئات وعلاقات مترابطة، وبطريقة تسهّل استرجاعها لتستخدم في عمليات معرفية إبداعية عالية المستوى.

ويختلف الخبراء في قدرتهم على حل المشكلات في مجال تخصصهم، حيث يبرع البعض في حل الأنواع المألوفة من المشكلات بسرعة وبدقة، ولكنهم قد لا يظهرون الكفاءة نفسها حال مواجهة مشكلات جديدة.

لذا يميز الباحثون في مجال الخبرة بين نوعين من الخبراء: "الخبراء التكييفيون" في مقابل "الخبراء الروتينيون". يتميز الخبراء الروتينيون بقدرة عالية على حل المشكلات المألوفة بسرعة وكفاءة، لكن قدراتهم تكون متواضعة عند مواجهة مشكلات غير مألوفة. وفي المقابل، يتميز الخبراء التكييفيون بقدرة على ابتكار إجراءات جديدة مستمدة من معارفهم الخبيرة. فهم لديهم فهم عالي لجميع خطوات الحل، ولماذا تعمل بعض الإجراءات بنجاح، في حين لا تنجح خطوات أخرى؛ كما يكون لديهم القدرة على تعديل تلك الإجراءات بمرونة عند الحاجة؛ وابتكار إجراءات جديدة عندما لا تكون أي من الإجراءات المعروفة فاعلة، وهو ما يعرف بالمرونة التكييفية.

وتكون المرونة والقدرة على التكيف ممكنة فقط عندما تتوافر لدى الخبير معرفة مفاهيمية متطورة تعطي معنى لكل خطوة من خطوات الحل؛ ومعيار للاختيار بين البدائل الممكنة لكل خطوة ضمن خطوات حل المشكلة.

ومما يساعد على بناء الخبرة التكيفية ما يعرف "بالتفكير في العمل"؛ فعندما يسأل الفرد نفسه لماذا من الضروري القيام بكل خطوة من خطوات الحل، فإن هذه الأسئلة ستؤدي به إلى تشكيل معرفة مفاهيمية دقيقة حول إجراءات العمل. وعلى الرغم من أن الخبراء قد لا يهتمون كثيرا ببناء المعرفة المفاهيمية بشكل لفظي، إلا أنهم يقومون ببنائها بشكل عملي أثناء حل المشكلات أو أداء المهام.

هذه المعرفة المفاهيمية تمكن الخبراء من بناء نماذج عقلية للهياكل الرئيسية في مجالهم، والتي يمكن استخدامها في عمليات المحاكاة العقلية. لذا فإن العامل الرئيس في الخبرة التكيفية هو تطوير تصورات مفاهيمية أعمق لحقل معرفي ما. هذه التصورات تكون متصلة بمعارف إجرائية، ووعي بعمليات ما وراء المعرفة.

ويفترض الباحثون أن مما يعزز خبرة التكيف ما يسمى بالتناظر المعرفي، وهو الشعور بأن الفهم الحالي حول المشكلة غير كاف للوصول للحل، مما يحفز الفرد على العمل بنشاط من أجل الفهم، بما في ذلك البحث عن معلومات إضافية، وخلق استدلالات جديدة، وغير ذلك.

يرتبط بإثارة التناقض المعرفي عدة إجراءات تعنى باستخلاص الفهم المستمر، وهي: مواجهة مشكلة جديدة لا يمكن التنبؤ بحلها على أساس المعرفة السابقة أو الحالية؛ الانخراط في تفاعل نشط ودؤوب حول الموقف المشكل؛ التحرر من الحاجات الخارجية مثل المكافآت العاجلة؛ وأخيرا، إحاطة الخبير نفسه بمجموعة مرجعية من خبراء المجال الذين يقدرون الفهم. هؤلاء الأعضاء يطلق عليهم "المجال" وهم شرط أساسي لتطور أي فن أو علم.

ويمكن توضيح هذه الإجراءات من خلال فهم طبيعة الممارسة التي يشارك فيها الأفراد؛ فعندما تكون الممارسة موجهة نحو حل مشكلات مهنية مثل صنع نفس المنتجات لسنوات، فإن الخبراء في هذه الحالة لا يواجهون مشكلات جديدة، ومن ثم من المرجح تتشكل لديهم خبرات متميزة من حيث السرعة والدقة، والتلقائية، أي خبراء روتينيين. وعلى النقيض من ذلك، عندما تتطلب الممارسة الاندماج في طلبات متنوعة ومتغيرة، مثل صنع منتجات جديدة، عندما يكون على الخبير تطبيق المعرفة المسبقة بمرونة، ومن ثم من المرجح أن يكتسب خبرة تكيفية.

وأخيرا أود أن أختتم مقالي بتعليقين تربويين:

أولاً- بالتأكيد نحن لا نتوقع من طلاب المدارس أن يصبحوا خبراء في مجال معين. لكن الدمج بين خبرات التعليم المدرسي والخبرات المهنية لتحقيق أهداف وعمليات متشابهة هو أمر مهم ويحتاج إلى جهد تربوي. إن خلق فصل دراسي يعمل فيه الطلاب كمجموعة من الخبراء التكيفيين أمر صعب، ولكنه قد يكون طموحا مشروعا يستلزم جهدا كبيرا من جانب المعلمين.

ثانيا- يلعب التكيف دورًا مهمًا في حياتنا من الناحية الفسيولوجية والاجتماعية على السواء. لكن الأمر المثير هو أن التكيف قد يدمر الإبداع أحيانًا. تأمل ماذا يفعل شخص لديه قابلية عالية للتكيف، يجد نفسه في بيئة تشجع المسيرة والالتزام؟ هذا الشخص سوف يلتزم بالقوانين التي يفرضها الواقع، مما يؤثر سلبيا على قدرته على التعبير الذاتي والأصالة، وهما متطلبان ضروريان للإبداع. وتشير كثير من المذكرات الشخصية إلى أن القابلية للتكيف والإبداع لا يسيران جنبًا إلى جنب. فبقدر ما تكن قدرتنا على التكيف والمسيرة عالية بقدر ما نفقد من قدرتنا على الإبداع. من المهم أن ننتبه إلى هذه المفارقة ونحن نربي أبناءنا وطلابنا ونعددهم للحياة. تكيف بالقدر الذي لا يفقدك قدرتك على التفرد والاختلاف والتعبير الذاتي الأصيل.

صناعة الموهبة



أ.د. يسرى زكي عبود
أستاذ بالمركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع

إن مسألة ما إذا كان الأفراد يولدون موهوبين أو ما إذا كانت الموهبة يتم تنميتها من خلال الخبرة كانت وما زالت محل نقاش طويل في علم النفس والتعليم. وبالأحرى ترتبط بالجدل حول كون الموهبة فطرية أم مكتسبة. هناك من يعتقد أن الموهبة هي نتيجة عوامل وراثية وفطرية معاً، بينما يرى آخرون أن التدريب والمثابرة يمكن أن يصنعوا الموهبة. بعض المواهب، مثل الذكاء العالي أو الصوت الجميل، تعتبر فطرية وتظهر بشكل طبيعي لدى الأفراد منذ الصغر في حين هناك مواهب يمكن تطويرها من خلال التدريب المستمر والمثابرة، مثل العزف على الآلات الموسيقية أو التفوق في الرياضة.

يرى بعض الباحثين مثل Sholehah & Putro ٢٠٢٢ أن الموهبة هي قدرة متأصلة، مرتبطة ببنية الدماغ وعلم الوراثة، مما يشير إلى أن الأطفال الموهوبين يمتلكون معدلات ذكاء أعلى وإمكانات فريدة منذ الولادة. وعلى العكس من ذلك، يؤكد آخرون مثل Holding ٢٠١١ أن الموهبة الفطرية هي أسطورة، مشددين على أنه يمكن تحقيق الأداء الاستثنائي من خلال التدريب والممارسة الصارمة، بغض النظر عن القدرة الأولية. ويدعم Anders Ericsson ذلك من خلال إظهار أن أداء الخبراء هو في المقام الأول نتيجة لممارسة متعمدة واسعة النطاق وليس موهبة فطرية. إن إدراك أن الموهبة يمكن رعايتها بدلاً من توريثها فقط يسمح باستراتيجيات تعليمية أكثر شمولاً تركز على تطوير الإمكانيات لدى جميع الأطفال. وبينما يستمر النقاش، فمن الواضح أن القدرات الفطرية والعوامل البيئية تلعب أدواراً حاسمة في تنمية الموهبة، مما يشير إلى تفاعل معقد بدلاً من التمييز الثنائي.

والسؤال الذي قد يتبادر للأذهان هل يصنع التدريب موهبة؟ الإجابة عن هذا السؤال يتطلب معرفة ما هي الموهبة؟ وجهة النظر الحديثة ترى أن الموهبة ليست مجرد هبة فطرية يولد بها الإنسان، بل هي نتيجة لمزيج من التدريب المكثف والتوجيه الصحيح. وفقاً لهذا التعريف أن الموهبة يمكن أن تكون موجودة في كل شخص، ولكنها تحتاج إلى بيئة مناسبة لتزدهر. واكتشاف الموهبة يبدأ من الشغف. عندما يكون لدى شخص ما شغف حقيقي تجاه شيء ما، فإنه يكون مستعداً لبذل الجهد والتضحية من أجل تطوير تلك المهارة.

تشير نظرية "العشرة آلاف ساعة" التي اقترحها مالكولم جلادويل إلى أن الفرد يحتاج إلى حوالي عشرة آلاف ساعة من التدريب ليصبح خبيراً في أي مجال. وهناك العديد من الأمثلة الشهيرة التي تُظهر تطبيق نظرية "العشرة آلاف ساعة". على سبيل المثال، بدأ بيل غيتس البرمجة في سن مبكرة، وقضى آلاف الساعات في تطوير مهاراته في البرمجة خلال فترة مراهقته. وقد ساعده التدريب المكثف في تأسيس شركة مايكروسوفت وقيادتها لتصبح واحدة من أكبر شركات التكنولوجيا في العالم. كما أن فرقة البيتلز قبل أن يصبحوا مشهورين عالمياً، قضى أعضاؤها ساعات طويلة في العزف في هامبورغ، ووفرت لهم هذه التجربة فرصة لتحسين مهاراتهم الموسيقية وأدائهم على المسرح. كما أن بيل جوي عالم الكمبيوتر الشهير، الذي ساهم في تطوير نظام التشغيل UNIX ولغة البرمجة Java، قضى آلاف الساعات في البرمجة خلال دراسته الجامعية، مما ساعده على تحقيق إنجازات كبيرة في مجال التكنولوجيا.

يمكنك اتباع مجموعة من الخطوات للوصول إلى ١٠٠٠ ساعة من التدريب، وتحقيق مستوى عالٍ من الاحترافية في أي مجال، تبدأ بتحديد الهدف من خلال تحديد المجال الذي يرغب الشخص التميز فيه بوضوح. سواء كان ذلك في الموسيقى، الرياضة، البرمجة، أو أي مجال آخر، ثم وضع خطة تدريبية مفصلة تشمل الأهداف قصيرة وطويلة المدى مع تحديد عدد الساعات التي سيخصصها للتدريب يوميًا وأسبوعيًا، يستتبع ذلك التدريب المنتظم من خلال الالتزام بالتدريب اليومي أو الأسبوعي حتى لو كان ذلك لمدة ساعة واحدة فقط، والتركيز على تحسين نقاط الضعف وتطوير المهارات الأساسية. كما أن التدريب يكون أكثر فعالية عند الحصول على ملاحظات من مدربين أو خبراء في المجال، فالتغذية الراجعة تساعد على تحسين الأداء وتجنب الأخطاء المتكررة. كما أن التنوع في التدريب وتجريب أساليب تدريب مختلفة يساعد على تجنب الملل والتحفيز. والتنوع يمكن أن يشمل التدريب العملي، القراءة، مشاهدة الفيديوهات التعليمية، والمشاركة في ورش العمل. وأخيرًا فإن الوصول إلى ١٠٠٠ ساعة يتطلب وقتًا وجهدًا كبيرين. ويعتبر المفتاح الرئيس للنجاح هما الصبر والمثابرة في التدريب حتى في الأوقات التي يشعر فيها الشخص بالإحباط.

تأكيدا على أهمية التدريب والممارسة في تنمية الموهبة، تناول الكاتب دانيال كويل Daniel Coyle في كتابه "شفرة الموهبة" مفهوم الموهبة وكيفية اكتشافها وتنميتها. ورأى أن تنمية الموهبة تتطلب ثلاث خطوات رئيسية: أولهما التدريب العميق وهو التدريب الذي يركز على تحسين نقاط الضعف وتطوير المهارات بشكل مستمر. ثانيهما، الإرشاد الفعال والذي يستلزم وجود مرشدين أو مدربين يقدمون التوجيه والنصائح اللازمة. وثالثهما، التحفيز الداخلي: الدافع الشخصي والرغبة القوية في النجاح والتفوق.

يقدم كويل في كتابه أمثلة من واقع الحياة لأشخاص وأماكن نجحوا في تنمية مواهبهم بفضل اتباع هذه الخطوات. من بين هذه الأمثلة، أكاديميات رياضية ومؤسسات تعليمية تركز على تطوير المهارات من خلال التدريب المكثف والإرشاد الفعال. بالعودة إلى كتاب شفرة الموهبة كويل يشير إلى أن الأماكن التي تُعرف بـ "مكامن الموهبة" هي تلك التي توفر بيئة محفزة وداعمة للأفراد لاكتشاف وتنمية مواهبهم.

إن محاولة وصف الموهبة الجماعية التي تميز لاعبي كرة القدم البرازيلية أمراً يفوق وصفه بالموهبة، تلك الدولة الفقيرة حازت على كأس العالم خمس مرات، أكثر من تسعمائة لاعب من المواهب الصغيرة توقع كل عام عقود احتراف مع نواد أوروبية محترفة. غالبية الناس يعرفون أسماء نجوم الكرة في البرازيل بدءاً من بيليه وزيكو وسقراط وروماريو وكاكا وغيرها ممن نالوا لقب "أفضل لاعب بالعالم" في كل يوم تحقق البرازيل شيئاً توقع فيه موهبتها في لعبة يتنافس فيها العالم بأسره على نحو محموم.

إن الطريقة التقليدية لشرح هذا النوع من الموهبة المركزة هي أن ترجعها إلى تركيبة من الجينات والبيئة. بطريقة التفكير هذه تكون البرازيل عظيمة لأنها تمتلك تجمعية فريدة من العوامل: مناخ لطيف، شغب شعبي بكرة القدم، تعداد سكاني متنوع جنياً يقدر بنحو ١٩٠ مليون نسمة، ٤٠ في المائة منهم فقراء جداً، ويرغبون بالفرار من واقعهم المؤلم من خلال هذه "اللعبة الساحرة" هل تلك العوامل كافية لتكوين المصنع المثالي للتفوق الكروي؟. الحقيقة المفاجئة هي أن البرازيل تنتج لاعبين بارزين وعظماء لأنها منذ الخمسينات واللاعبين البرازيليين يتدربون بطريقة خاصة، وبأدوات خاصة طورت مهارة التعامل مع الكرة أسرع من أي مكان بالعالم.

يمارس الأطفال في الأحياء الشعبية الفقيرة في البرازيل كرة القدم منذ نعومة أظفارهم، في شروط قاسية حيث الأزقة متعرجة وغير ممهدة ومليئة بالأحجار، ويستخدمون كرات قدم مصنوعة بابتدال دون احترافية. تلك الكرات أصغر حجماً وأثقل من الكرات التقليدية المستخدمة في الملاعب الخضراء. كما أن غالبيتهم لا يرتدون أحذية رياضية مناسبة. تلك الشروط الصعبة التي يمارس بها الأطفال اللعبة الساحرة جعلتهم أكثر احترافاً من سواهم. وكانت السبب في تفوقهم وتنافس النوادي في كل أنحاء العالم على استقطابهم. وهذا ما يثبت أن الموهبة وحدها لا تكفي ما لم يتم صقلها بالممارسة والتدريب في شروط صعبة فعلى الرغم من وجود بعض الإمكانيات الفطرية، إلا أن تطور الموهبة يتأثر بشكل كبير بالعوامل البيئية والممارسة والتدريب. ويدعم هذا المنظور العديد من الدراسات التي تؤكد على دور الممارسة المتعمدة والمؤثرات الخارجية في تحقيق مستويات عالية من الأداء.

الموهوبون ذوو الاستثناء



د. ممدوح مسعد هلالي

أستاذ مساعد بالمركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع

أنعم الله سبحانه وتعالى على البشر بالعديد من المواهب والقدرات الخاصة الإبداعية، والتي يمكنهم الاستفادة منها لتسهيل حياتهم وطرق تعاملهم مع الآخرين، حيث تشير الموهبة إلى القدرات الفطرية والمهارات الاستثنائية التي يتمتع بها الفرد في مجال معين، كما يقصد بها أيضاً الأداء العالي في قدرة أو أكثر. وتتضمن المواهب أنواعاً مختلفة منها: الموهبة الفنية وهي التي تتعلق بالفنون والإبداع كالرسم والتمثيل والكتابة والشعر، والموهبة الرياضية وهي التي تتعلق بالرياضة والأنشطة البدنية مثل كرة القدم والسباحة والجمباز والمصارعة، والموهبة الأكاديمية وهي التي تتعلق بالتعلم والدراسة والتخصصات الأكاديمية مثل التميز في الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والطب، والموهبة الاجتماعية وهي التي تتعلق بالتعامل مع الآخرين والقدرة على التواصل والتأثير عليهم مثل القيادة، والتحدث، والاستماع، والتفاوض، والموهبة المهنية وهي التي تتعلق بالمهن والحرف، مثل الحلاقة والخياطة، والنجارة، والطبخ، والحدادة، والموهبة العلمية وهي التي تتعلق بالاكتشافات العلمية والبحث والتحليل والتجريب مثل هذه المواضيع العلوم الطبيعية والرياضيات والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، والموهبة الإبداعية وهي الموهبة التي تتعلق بالابتكار، والاختراع، والتصميم، والتطوير.

ولا تقتصر هذه النعم على فئة من الناس دون أخرى، ولا أشخاص دون غيرهم، فيهبها الله لمن يشاء. ولحكمة يعلمها سبحانه، نجد أن هذه النعم تتوفر لدى بعض الأشخاص من ذوي الإعاقات على اختلاف أنواعها، فجد منهم الموهبين والمبدعين. وتشير كلمة "إعاقة" إلى نوع من الحالات التي تؤثر على القدرات الطبيعية للشخص على القيام بالأنشطة اليومية بشكل صحيح مثل الآخرين.

والأفراد الذين يتمتعون بموهبة أو قدرة استثنائية في مجال معين، ولكنهم في الوقت ذاته يعانون من صعوبات في مجال آخر، مثل الصعوبات التعليمية أو اضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه أو اضطراب طيف التوحد. وبالتالي، يمكن أن يكون لديهم مزايا وصعوبات في نفس الوقت، وهذا يطلق عليه مصطلح "مزدوجي الاستثنائية" (Twice-Exceptional) (أبو القاسم؛ الدخيل، ٢٠٢٢). على سبيل المثال، قد يكون لدى شخص مزدوج الاستثنائية موهبة في الرياضيات أو العلوم، ولكنه في الوقت نفسه يعاني من صعوبات في التواصل الاجتماعي أو التعامل مع الآخرين. ويمكن أن يكون لدى شخص آخر موهبة في الفنون أو الكتابة، ولكنه يعاني في الوقت نفسه من صعوبات في التعلم اللغوي أو القراءة، ويعتبر التعرف على مزدوجي الاستثنائية مهماً لتوفير الدعم المناسب لهم، حيث يحتاجون إلى تقديم تحديات تناسب موهبتهم وفي نفس الوقت توفير الدعم اللازم لتجاوز صعوباتهم. وقد يتطلب ذلك التعاون بين متخصصي التعليم والصحة النفسية والأسرة، لتوفير الدعم المتكامل لهم. وقد اهتمت المملكة العربية السعودية برعاية الأشخاص ذوي الإعاقة -الموهوبين وغيرهم- بشكل يضمن حصولهم على حقوقهم المتصلة بالإعاقة ويعزز من الخدمات المقدمة لهم، عبر توفير سبل الوقاية والرعاية والتأهيل اللازمين، والعمل على اكتشافها في وقت مبكر والتقليل من الآثار المترتبة عليها. كما سعت المملكة سعياً جاداً في الاهتمام بالموهوبين باعتبارهم المحور الرئيسي وأداة التنمية ومصدر من مصادر الثروة والتي تعتبر من الفئات المهمة في المجتمعات، والتي تعتمد عليها في المشاركة بجهودهم في تطوير المجتمع وتقدمه؛ وذلك من خلال حسن استثمار هذه الطاقة المبدعة ورعايتها وتوجيهها، ويتضح ذلك جلياً من خلال دعم البرنامج الوطني للكشف عن الموهوبين الذي انطلق برعاية من الملك عبدالله بن عبدالعزيز.

وبصفة عامة، تتعدد الإعاقات -كما ونوعا- التي يمكن أن تتواجد لدى الأفراد، فقد توجد لدى الفرد نوع واحد أو أكثر من تلك الأنواع، والتي قد تختلف في درجتها وشدتها في كل حالة. ويمكن أن تكون تلك الإعاقات ناتجة عن بعض الأمراض التي يصاب بها الفرد من البيئة مثل شلل الأطفال أو الشلل الدماغي، أو تغير في التركيب الجيني أثناء المرحلة الجنينية الناتج عن عوامل داخلية أو خارجية، أو لأسباب وراثية مرتبطة بالجينات أو متأثرة بها، أو نتيجة لصدمة الميلاد. وبصفة عامة يمكن تصنيف أنواع الإعاقات إلى حركية، وسمعية، وبصرية، وعقلية، ولكل منها صفاتها التي تدل عليها وتنبئ عنها.

والطلاب مزدوجي الاستثناء موهوبين، هم طلاب لديهم استثناء في كونهم مبدعين في أحد مجالات الموهبة التي تتضمن الجانب العقلي أو الأكاديمي أو الإبداعي أو القيادة أو الفنون الأدائية والبصرية أو القدرات الحس حركية، ويحتاجون بالتالي إلى برامج معينة في إطار التربية الخاصة حتى يتمكنوا من تطوير مواهبهم وتنميتها، كما أن لديهم استثناء آخر في كونهم يعانون من عجز أو إعاقة، والتي قد تكون حركية أو صحية أو أكاديمية أو انفعالية أو حسية، ويحتاجون تبعاً لها إلى برامج تعليمية وتأهيلية في إطار التربية الخاصة.

وتتنوع الإعاقات لدى فئة مزدوجي الاستثناء إلى اضطراب التعلم المحدد مثل اضطراب القراءة (عسر القراءة) أو اضطراب التعبير الكتابي (عسر الكتابة) أو اضطراب الرياضيات (عسر الحساب)، واضطرابات التواصل مع الآخرين مثل اضطراب اللغة النمائي، وتكوين الجمل، واستخدام الكلمات، ونطقها، واضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه، دون أعراض واضحة لفرط النشاط، أو الاندفاع، أو التحدي، أو السلوك التخريبي، والتوحد، وخاصة ما يسمى بالتوحد "عالي الأداء" وما يصحبه من مشكلات في التواصل والتفاعل الاجتماعي وما يصحبه من انطواء أو عدوان، والاضطرابات الحركية، مثل اضطراب التنسيق النمائي الذي قد يؤثر على الكتابة اليدوية وأداء فن الكتابة، والإعاقة الجسدية، الجزئية أو الكلية، بما في ذلك الألم المزمن، واحتياجات الصحة العقلية مثل الاكتئاب واضطراب القلق، والقدرة على تعلم القراءة، أو الكتابة، أو القيام بالعمليات الرياضية، أو الانتباه، أو تكوين صداقات دون عناء مثل أقرانهم.

وعلى ذلك فإن فئة مزدوجي الاستثناء تتضمن مدى واسعاً من الحالات والفئات ومنها الموهوبون ذوي الإعاقات الحركية والصحية، والموهوبون ذوي صعوبات التعلم، والموهوبون ذوي الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، والموهوبون ذوي الإعاقات الحسية (السمعية والبصرية)، والموهوبون ذوي الاضطرابات النطقية والكلامية والتأخر اللغوي، والموهوبون ذوي تشتت الانتباه وفرط النشاط، والموهوبون ذوي الإعاقة العقلية، والموهوبون الذين يعانون من التوحد، والموهوبون الذين يعانون من تأخر نمائي.

وفي الأوساط الأكاديمية، لا توجد طريقة بسيطة لاختبار واحد لتحديد الطلاب مزدوجي الاستثناء، وإنما توجد عدة طرق للاكتشاف، حيث تكمن الصعوبة في أن الطلاب مزدوجي الاستثناء يتميزون بعدة خصائص منها المواهب الرائعة غير العادية في بعض المجالات، كالرياضيات، أو الرسم، أو التواصل اللفظي، أو الموسيقى، وفجوة كبيرة بين أداء الطالب في المدرسة والأداء في اختبارات الكفاءة، في الوقت نفسه قد يكون لديهم مفردات ممتازة ومهارات تحليلية وفهم استثنائي يظهران اهتماماً أو مواهب غير عادية في مجال معين، بالإضافة إلى علامات اضطراب، مثل وجود مشكلة في اتباع التوجيهات المنطوقة أو القصص التي تُقرأ بصوت عالٍ، وضعف قدرتهم على التنظيم وتبرز قوتهم وقدراتهم الابتكارية في الكلام والتحدث، وقد يظهران قدرات تعبيرية لفظية عالية متزامنة مع ضعف التحصيل الأكاديمي، وضعف العلاقات الشخصية مع الأقران، وسرعة رد الفعل والجمود وعدم المرونة في التفاعل مع المشكلات، وصعوبة التعامل مع المواقف التي تتعد عن تصوراتهم الشخصية واستخدام أساليب الدفاع بكثرة، بالإضافة إلى امتلاكهم قدرات تخيلية ومهارة في استيعاب المفاهيم المجردة ورغبة في الاستطلاع والتفوق في الفنون والموسيقى، وقد يستخدمون الفكاهة لصرف الأنظار عن فشلهم في المدرسة لتجنب المتاعب بمن فيهم المعلمين، كما أنهم غالباً حساسون بشأن جانب أو جوانب العجز لديهم بسبب تعرضهم لانتقادات تمس الذات من قبل الآخرين، وشعورهم بالإحباط أو الافتقار إلى الدافع كما قد يكون غير مهتمين في الفصل ويعانون من مهارات القراءة الأساسية.

وتتعدد مراحل التعرف على الموهوبين مزدوجي الاستثناء إذ تمر بخمسة مراحل أساسية: المسح والفرز المبدئي حيث يتم خلالها التعرف على مواهبهم، والتشخيص والتقييم ويتم خلال تلك المرحلة التأكد من الملاحظات الترشيح ليكون من الموهوبين، وتطبيق المقاييس المختلفة التي يمكن من خلالها الحكم على موهبته، أو ملاحظة الإنتاج الفني الذي يقدمه وخاصة فيما يتعلق بالفنون الأدائية وتحديد مدى مطابقته للمعايير الفنية، ومرحلة تقييم الاحتياجات ويتم خلالها تصنيف الأفراد الموهوبين إلى فئات مختلفة بحسب مواهبهم وتحديد الاحتياجات الخاصة بكل فئة من هذه الفئات، وكيفية الوفاء بها وإشباعها، ومرحلة اختيار البرنامج المناسب والتسكين حيث يتم خلال هذه المرحلة اختيار ذلك البرنامج الذي يناسب موهبته حتى يتم تسكينه فيه بما يحقق الاستفادة القصوى منه، ثم مرحلة التقييم ويتم فيها تقييم الأنشطة والبرامج التي يكون قد تلقاها الفرد، ومدى استفادته منها.

ويواجه الطلبة مزدوجي الاستثناء العديد من التحديات خلال تنقلهم عبر المراحل الدراسية والحياتية تحديات وصعوبات من نوع خاص مما يستدعي ضرورة دراسة وفهم هذه التحديات وتحويلها إلى قوة داعمة تدفعهم لإكمال مسيرتهم التعليمية، ومن أبرزها التحديات النفسية والاجتماعية، حيث إن كل تغيير يحدث في حياة الطلاب في هذه الفئة قد يشكل عبئاً وصعوبة بالنسبة لهم من تغيير المناخ الصفّي أو تغيير المعلم أو الزملاء، كما يعانون من عدم القدرة على بناء علاقات مع الآخرين نتيجة الصعوبات التعليمية التأقلمية الاجتماعية التي يواجهونها، والتحديات الأسرية، حيث تعد مشكلة عدم رعاية الأهل لأبنائهم من أكبر التحديات التي تواجههم، لأن الأسرة تمنح الطلاب الشعور بالأمان والانتماء؛ مما يدفعهم ويشجعهم ويحفزهم للتعلم وتعديل السلوك من خلال معاملة الأسرة الجيدة وعدم استخدام العنف، ومن خلال التواصل الدائم بين المعلم والأسرة والتعاون على تهيئتهم للمراحل التعليمية الجديدة مما يقلل من حدة غضبهم وعدم تقبلهم للظروف والأوضاع الجديدة، حيث إن بعض الأسر لا يستطيعون التعامل مع إمكانيات هذه الفئة من الأبناء ولا يعرفون آليات تنمية مواهبهم، وتقبل المجتمع لهم، حيث تعتبر فئة ذوي الاستثناء جزءاً لا يتجزأ من المجتمع ويجب على المجتمع تقبلهم والاستفادة من قدراتهم، وفتح المجالات أمامهم في المدارس وسوق العمل، فكثير من المشهورين في المجتمعات من هذه الفئة.

إن الأمثلة للأشخاص مزدوجي الاستثناء في الواقع كثيرة على ممر التاريخ، ففي العصر الإسلامي نجد عبد الله ابن أم مكتوم الكفيف وقد ولي على المدينة لفترة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبو العلاء المعري أيضاً كفيف العينين ولكن لقب بفيلسوف الشعراء، والأحنف بن قيس من أشهر الخطباء والحكماء والقادة وقد كان أعرج ولديه اعوجاج في رجليه وكان ملتصق الفخذين وأعور العين متراكم الأسنان مائل الذقن صغير الرأس بارز الوجه منخض العينين، وأبو الأسود الدؤلي كان أعرج وأصلع، ومع ذلك كان شجاعاً وذكياً جداً، أصبح قاضياً للبصرة ثم أميراً عليها وهو أول من وضع النقط على الحروف، وبشار بن برد كان كفيف البصر ولكنه برع في الشعر، وقد قيل أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة هم (بشار وأبو العتاهية والسيد الحميري) وقد زينت أشعاره الأدب العربي، رغم أنه كان دميم الخلقة، أعمى، طويلاً ضخماً الجسم، جاحظ العينين، قد تغشاهما لحم أحمر، فكان قبيح العمى، مجذور الوجه. ضرب به المثل لقباحة عينه، فقالوا: "كعين بشار بن برد". وفي الدول المعاصرة برز عدد من الموهوبين من ذوي الاستثناء، منهم على سبيل المثال هيلين كيلر وهي المعجزة التي لديها ثلاث إعاقات ومع ذلك حصلت على أعلى الشهادات ولها شأن كبير في الآداب وكتابة القصة، ولويس برايل الكفيف الذي اخترع طريقة كتابة برايل لتعليم المكفوفين، وستيفن هوكينج عالم الفيزياء المقعد والذي لا يستطيع تحريك سوى إصبعين من أصابعه وقد أصبح محاضراً بالجامعة عن طريق الحاسوب الصوتي وقد نال جائزة نوبل عن إبداعاته، وماركوني مخترع اللاسلكي والراديو وكان انطوائياً ويقال إنه من أطفال التوحد وكان يبصر بعين واحدة فقط وأشهر أعماله (نظرية الثقوب السوداء)، وأيضاً شاتو بريان الذي كان يميل للعزلة والوحدة، وقد يكون من أطفال التوحد، ولكنه أصبح مؤلفاً وأديباً وكاتباً، وتوماس أديسون مخترع المصباح الكهربائي وآلة تسجيل الكلمات وقد كان لديه صعوبة في التعلم، وأينشتاين الذي لم يجتز المرحلة الإعدادية، ولكنه كان عبقرى وله عدة نظريات تخدم الفيزياء والرياضيات.

أخيراً: يمكن القول إن فئة الموهوبين من ذوي الاستثناء يمكن أن تتواجد بكثرة في جميع العصور والأزمنة والثقافات، ولكن جميعهم لم يحصلوا على الدعم الكافي لإبراز مواهبهم، لعدم إتاحة الفرصة لهم لإبراز مواهبهم، ولعلها دعوة لزيادة البحث عن مثل هؤلاء، لاكتشاف مواهبهم وتقديم الدعم المناسب لهم ورعايتهم، لتحقيق الاستفادة من مواهبهم المتنوعة.

تعزير المواهب عبر برامج التعليم الشرفي



د. رومل محمود العلي

أستاذ مشارك بالمركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع

تعتبر برامج التعليم الشرية واحدة من أهم الأدوات المستخدمة في الجامعات لتطوير المهارات الأكاديمية، الاجتماعية، والإبداعية لدى الطلاب الموهوبين. تمثل هذه البرامج منصة متكاملة تقدم تحديات إضافية، أنشطة متميزة، ودعمًا مخصصًا، مما يساعد الطلاب على تحقيق إمكاناتهم الكاملة والمساهمة في تحسين سمعة الجامعة ومكانتها الأكاديمي، ويُعرف التعليم الشرية بكونه نظامًا تعليميًا مخصصًا للطلاب المتميزين أكاديميًا وذوي الطموح العالي، حيث يوفر لهم فرصًا إضافية تتجاوز ما يقدمه البرنامج الأكاديمي العادي. يهدف إلى: تعزيز التفكير الإبداعي والنقد- تقديم تجارب أكاديمية وتطبيقية متنوعة- إعداد الطلاب لمستقبلهم المهني عبر تطوير مهارات القرن الحادي والعشرين، وبدأ هذا المفهوم في الولايات المتحدة منذ نحو قرن، وانتقل إلى أوروبا، حيث قادته هولندا بشكل خاص. يتوسع نطاق التعليم الشرية ليشمل برامج البكالوريوس والماجستير على حد سواء. وتكمن أهمية التعليم الشرية في أنها تسعى إلى تعزيز الأداء الأكاديمي حيث يتيح للطلاب تطوير قدرات تحليل المشكلات، البحث العلمي، والتفكير النقدي، وتعمل على تنمية الشخصية حيث يُسهم في التطور العاطفي والاجتماعي من خلال توفير بيئة تفاعلية ومُلهمة، هذا فضلا عن التفاعل المجتمعي حيث يدعم بناء علاقات اجتماعية ومهنية من خلال مجتمعات تعلم متخصصة.

ومن أشكال التعليم الشرية: برنامج أحادي التخصص والذي يُركز على مجال دراسي محدد، ما يُمكن الطالب من التعمق في تخصصه- برنامج متداخل التخصصات والذي يُتيح التعلم عبر أكثر من مجال دراسي ضمن بيئة جامعية شاملة- برنامج متعدد التخصصات يجمع بين عدة تخصصات ويعمل كبدائل شامل لبرنامج البكالوريوس التقليدي. ومن أهم مزايا التعليم الشرية: تحقيق التفوق الأكاديمي من خلال تقديم برامج دراسية متقدمة تتضمن دورات شرفية، حلقات بحثية، ومشاريع تطبيقية- تنمية المهارات القيادية عبر الأنشطة اللامنهجية وورش العمل المخصصة- تعزيز البحث العلمي من خلال مشاريع بحثية متخصصة بالتعاون مع أعضاء هيئة التدريس- التكامل الاجتماعي من خلال توفير بيئة داعمة تجمع الطلاب الموهوبين، مما يعزز التفاعل الأكاديمي والاجتماعي. ويتطلب القبول في هذه البرامج معايير دقيقة تشمل: درجات عالية في الاختبارات القياسية مثل SAT أو ACT. مقالات شخصية ومقابلات تُظهر شغف الطالب وتميزه الأكاديمي- معدلات مرتفعة في الدراسة الثانوية. ومن التحديات التي تواجه التعليم الشرية اختيار الطلاب المناسبين والتي تتطلب معايير صارمة لتحديد الموهوبين- دمج الطلاب اجتماعيًا فقد يواجه طلاب الشرف صعوبات في الاندماج مع الأنشطة الجامعية العامة- استدامة التميز حيث يحتاج البرنامج إلى موارد مستمرة للحفاظ على جودة التعليم والتجربة المقدمة.

وتشير الدراسات إلى أن برامج الشرف تُسهم في تحسين مهارات الطلاب الأكاديمية والمهنية، كما تزيد من فرص قبولهم في الدراسات العليا والوظائف المرموقة، بالإضافة إلى ذلك، تُساعد هذه البرامج على تحسين التفكير النقدي والرياضي، وتعزيز القدرات البحثية والعلمية، وزيادة المشاركة في الأنشطة الجامعية والمؤتمرات. ومن أفضل الممارسات لبرامج الشرف وفقاً للمجلس الوطني الأمريكي لبرامج الشرف، انها تشمل على: معايير واضحة للقبول تشمل الطلاب وأعضاء هيئة التدريس- مناهج مبتكرة تُلبى احتياجات الطلاب ومتطلبات سوق العمل- تعلم التشاركي يُشجع الطلاب على المشاركة في الأنشطة الداخلية والخارجية- وتوفير بيئة ملهمة تجمع بين التميز الأكاديمي والاجتماعي. وتعتبر كليات الشرف بمثابة بيئة تعليمية متقدمة تهدف إلى تطوير مهارات الطلاب الموهوبين من خلال برامج أكاديمية متميزة. حيث تندرج كليات الشرف ضمن هيكلية الجامعات، وتشارك في أن تكون لها ميزانيات مستقلة، مناهج خاصة، سياسات وعمادات، وتحديد عضوية هيئة التدريس وقبول الطلاب وفق معايير عالية. تكمن الأهمية الأساسية لهذه الكليات في تطوير وتعزيز مخرجات التعليم من خلال التركيز على التميز الأكاديمي وإتاحة الفرص التعليمية المتميزة لطلابها.

ومن أهم العوامل المؤثرة في تطوير برامج الشرف: (١) العوامل الأيديولوجية حيث ترتبط العوامل الأيديولوجية بتأثير الثقافة الوطنية في تشكيل طرق التعليم المتميز، حيث تعتمد نجاحات برامج الشرف بشكل كبير على البيئة الثقافية التي تقدّر وتثمن المواهب، تساهم هذه العوامل في خلق بيئة تعليمية تحفّز الابتكار والإبداع. (٢) العوامل المؤسسية حيث تتأثر برامج الشرف بمدى التمايز في التعليم في المراحل المختلفة من التعليم العام (مثل الابتدائي والثانوي)، بالإضافة إلى سياسات الانتقاء في التعليم العالي. تؤثر هذه العوامل على فرص تطور التعليم الشرفي وتحديد مستوى التفوق الأكاديمي المطلوب.

وتتمتع برامج الشرف بنظام قبول انتقائي يعتمد على معايير عالية. يتم تحديد القبول بناءً على تقييمات أكاديمية مثل درجات ACT أو SAT أو متوسط درجات المدرسة الثانوية، وقد تشمل بعض البرامج مقابلات شخصية أو كتابة مقالات توضح اهتمامات الطالب، تهدف هذه البرامج إلى ضمان التزام الطلاب بالمستوى الأكاديمي العالي، مما يساهم في تعزيز إمكاناتهم المستقبلية، ويعد المعلم جزءاً أساسياً في عملية تنمية المواهب ضمن برامج الشرف، حيث يقوم بتصميم المهام الأكاديمية وتوفير فرص متنوعة تُساعد الطلاب على تطوير مهاراتهم، كما يقدم التوجيه والإشراف اللازمين لضمان نجاح الطلاب في مواجهة تحديات التعلم. تُساعد برامج الشرف المعلمين في تحقيق هذا الهدف عبر منحهم الفرصة للعمل مع طلاب قادرين على الابتكار وإنتاج حلول جديدة ومبدعة للمشكلات المطروحة.

وتنمية المواهب هي أحد الركائز الأساسية في برامج الشرف، تشمل هذه العملية مجموعة من الخطوات التي تتكامل بدءاً من تحديد الدوافع والشغف لدى الطلاب وصولاً إلى مراحل الإبداع والابتكار، تتضمن هذه الخطوات: (١) تحديد الدافع: والذي يساعد الطلاب على اكتشاف شغفهم ودوافعهم، مما يدفعهم لتحديد أهداف شخصية خارج المناهج الدراسية التقليدية (٢) اختيار مسار تنمية المواهب: والذي يعزز برنامج الشرف فرص الطلاب الذين يسعون لمواجهة تحديات إضافية وفرص جديدة في دراستهم (٣) تحديات وبرمجة تطوير المواهب: حيث يتم تحديد التحديات الأكاديمية من خلال الدورات الشرفية التي تسمح للطلاب بالتفاعل والتعلم ضمن مجتمع أكاديمي متماسك.

وتتعدد التجارب العالمية في تطبيق برامج الشرف لتطوير المواهب، حيث تعكس اختلافات ثقافية وبيئية تؤثر في طرق تنفيذ هذه البرامج ومن التجارب العالمية في برامج الشرف: (١) تجربة الولايات المتحدة الأمريكية: تعد برامج الشرف في الجامعات الأمريكية رائدة، حيث بدأت في العشرينيات من القرن الماضي لتوفير بيئة أكاديمية محفزة للطلاب الموهوبين. تقدم هذه البرامج فرصاً لطلابها لتحديات أكاديمية إضافية، بما في ذلك الأنشطة التشاركية والبحوث متعددة التخصصات. وتعد هذه البرامج ركيزة أساسية في تعزيز التفوق الأكاديمي وحماية العقول المبدعة من الهجرة إلى خارج البلاد. (٢) تجربة هولندا: حيث بدأت برامج الشرف في مرحلة البكالوريوس وانتشرت لاحقاً لتشمل برامج الماجستير. تدير هذه البرامج جامعات هولندية تركز على توفير بيئات تعليمية غير تقليدية تهدف إلى إثراء التجربة الأكاديمية للطلاب الموهوبين.

وختاماً تسهم برامج الشرف في تطوير المواهب الطلابية على عدة مستويات، حيث توفر بيئة تعليمية مليئة بالتحديات والفرص المتنوعة التي تتيح للطلاب تحقيق إمكاناتهم الأكاديمية والشخصية. كما تساهم هذه البرامج في تقديم نماذج تعليمية مبتكرة تهدف إلى تحقيق التميز على صعيد التعليم الجامعي، وتعتبر أداة هامة للمؤسسات الأكاديمية في جذب الطلاب الموهوبين ودعمهم في رحلتهم نحو التفوق.

دور المدرسة في رعاية الطلبة مزدوجي الاستثناء



د. ممدوح مسعد هالالي
أستاذ مساعد بالمركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع

المدرسة من أهم المؤسسات المجتمعية التي يمكن من خلالها تحقيق أهداف المجتمع بشكل عام، ويعتمد تحقيق المدرسة لدورها على كفاءة الإدارة المدرسية، والعمليات الإدارية بها. فالإدارة المدرسية الناجحة هي التي تستطيع تنفيذ الأهداف والخطط التربوية التي تحددها السياسة التعليمية للدول، وذلك لتطوير الإمكانيات البشرية القادرة على إدارة مرافق المجتمع باختلاف أنواعها، ولا يقتصر عملها فقط على تطبيق الأنظمة واللوائح والتعليمات كما كانت النظرة القديمة للإدارة، والتي يحتاج القائد من خلال برامج عديدة التعرف على الطاقات المواهب الموجودة والعناية بها ورعايتها ومنها الموهوبين سواء كان الطلاب العاديين أو ذوي الإعاقة أو مزدوجي الاستثناء، لا فرق في ذلك.

وقد عنيت المملكة العربية السعودية بالارتقاء بالتعليم في جميع مراحلها، وأنواعه، وتقدمه تبعاً للتقدم التكنولوجي والتطور العلمي الهائل الذي يجتاح العالم بأسره، كما اهتمت بتعليم فئات المجتمع على اختلاف أنواعها ومنها ذوي الإعاقة، ومزدوجي الاستثناء، فقد عملت على دمج هذه الفئة في مدارس التعليم العام مع بقية الطلبة لأنها فئة مهمه جداً في المجتمع مما يرسخ الإيمان بأهمية اكتشافها. وحيث إن مزدوجي الاستثناء من الطلبة الذين يتواجدون في مدارس التعليم يحتاجون إلى إدارة من نوع خاص، تكتشف مواهبهم، وترعى اهتماماتهم، لذا كان الاهتمام بتقديم الدورات التخصصية في هذا الجانب للإدارة المدرسية، حتى يمكن الاستفادة من قدراتهم وطاقاتهم ومساعدتهم على تخطي العقبات والإعاقة التي يعانون منها. فالطلاب مزدوجي الاستثناء هم مجموعة من الطلاب الموهوبين ولديهم إعاقة وذوو طبيعة عامة وتضم معظم فئات الإعاقة. فالطلبة ذوي الاستثناء هم الذين يمتلكون موهبة أو استعداد أو ذكاء بارز، ويقدرون على الأداء المرتفع، لكنهم في الوقت نفسه يواجهون صعوبات في التعليم أو إعاقات تجعل تحقيق بعض جوانب التكيف الأكاديمي والاجتماعي لديهم أمراً صعباً، ومن ثم يكونون بحاجة إلى مساعدات متخصصة. كما أن الطلبة مزدوجي الاستثناء هم موهوبون يمتلكون مواهب متعددة، أو استعدادات أو ذكاء بارز وقادرون على الأداء المرتفع، ولكنهم يعانون من صعوبات في عملية التعلم تجعلهم غير قادرين على التكيف مع بعض الجوانب الأكاديمية والاجتماعية، مما يجعل مظاهر التحصيل الأكاديمي لديهم أمراً صعباً ويحتاجون إلى مساعدة متخصصة.

وقد عنيت الدول المتقدمة بالثروة البشرية لديها ومنهم مزدوجو الاستثناء، على اعتبار أن مزدوجي الاستثنائية هم أحد أهم الثروات التي ينبغي العناية بها ورعايتها، وإن اكتشافهم ورعايتهم وتلبية احتياجاتهم ضرورة تربوية وتعليمية لبناء شخصية الطالب الموهوب بشكل متوازن، ومن هنا تأتي أهمية دور الإدارة المدرسية بجميع عناصرها في اكتشاف ورعاية هذه الفئة من الطلبة، وتقديم الدعم المناسب لهم.

يعد التحديد المهني الدقيق لنوع الإعاقة الأساسية أمرًا بالغ الأهمية، ويتوقف عليه نوع التدخل المناسب، لأن استراتيجيات التدخل المختلفة ستكون مطلوبة لحل المشكلات المختلفة؛ لذا يوصى بإجراء تقييم شامل وتشخيص مبكر للطلبة بواسطة المختصين (كعلماء النفس التربوي والنمائي)، واستخدام الاختبارات المقننة في ذلك، كاختبار القياس النفسي الفردي للذكاء (IQ). وتتعدد الأدوار داخل أسوار المدرسة فهناك دور للإدارة المدرسية، ودور البيئة المدرسية، والدور الأكبر للمعلم، كما أن للخدمات الأكاديمية والاستراتيجيات التعويضية دور مهم في اكتشاف هذه الفئة من الطلبة. ويمكن التحدث عن دور المدرسة من خلال عناصرها الأساسية.

فالإدارة المدرسية ولها دور في العمل على تهيئة بيئة التعلم المناسبة، والتي تساعد على اكتشاف وتنمية مواهب الطلبة، وتنوع الأنشطة التي تحسن من طريقة تفكيرهم المجرّد مع مراعاة الفروق الفردية بينهم، وتنوع اهتماماتهم. كما تسهم الإدارة المدرسية في العمل على تخفيف الضغوط الأكاديمية والواجبات اليومية واستبدالها بأنشطة لعب الدور، وتبادل الأدوار، وتقمص شخصيات ناجحة للراشدين الذين هم على شاكلتهم بهدف تحسين ورفع تقديرهم لذواتهم وطموحاتهم. كما تسهم الإدارة المدرسية في تعزيز هذه الفئة من الطلبة عن طريق متابعة المعلمين، وتقديم الدورات التدريبية التخصصية في المجال، واستضافة الخبراء والمختصين لتقديم ورش العمل حول طرق الاكتشاف، بالإضافة إلى عقد اللقاءات التشاورية بشأن تبادل الخبرات حول الحالات الطلابية، وطرق التعامل معها.

والمعلم من العناصر الأساسية للمدرسة والذي يقوم بأدوار متعددة بالإضافة إلى عملية التعليم، فله دوره المهم في الاكتشاف، والتوجيه، والتدخل العلاجي، والإرشادي، والاجتماعي. وكثيرًا ما يتمثل دور المعلم في التصدي للمشكلات التي يعاني منها الطلبة مثل المشكلات الأكاديمية والدراسية، مستخدمًا وسائل حسية متعددة وأنشطة تعاونية، وتوفير خبرات تعلم بديلة كالألغاز والمناقشات، وإعطاء فرصة للطلاب للمشاركة في تبادل المعلومات واكتسابها من خلال المقاطع الصوتية أو المرئية، أو الألغاز الشفوية، كما يقوم المعلم بتقسيم المهام على الطلبة، وتقديم بعض المهام الكبيرة، والمهام الصغيرة، للتأكد من أدائهم لتلك المهام بالشكل الصحيح، وإرشادهم للوصول إلى درجة الإتقان لها. كما أن للمعلم دور كبير في اكتشاف الطلبة الموهوبين من ذوي الإعاقات عن طريق الملاحظة، حيث إن المعلم يلاحظ سلوكيات الطلبة أثناء أدائهم للأنشطة الصفية واللصافية، ويستطيع اكتشاف مواهبهم وميولهم كالموهبة القيادية والثقة بالنفس، وسرعة التكيف، ومهارات التواصل، وغيرها.

كما أن للمنهج الدراسي دور مهم في اكتشاف الطلبة الموهوبين من خلال تدرج مستوى السهولة والصعوبة للموضوعات الدراسية، وتنوع الأنشطة المصاحبة للدروس. كما أن تنوع موضوعات المنهج الدراسي تساهم في تعزيز الميول والاتجاهات المتنوعة للطلبة، والفروق الفردية بين الطلبة. فالمنهج غالباً يتناول ثلاث مستويات رئيسية، مستوى التعلم الإيقاني الذي يركز على تعلم المفاهيم والحقائق والقواعد والمصطلحات والتعميمات من أجل إتقانها، ومستوى التعلم التطوري والذي يركز على تطوير قدرات الطلبة في التعامل مع بيانات ومعطيات وافتراضات ومشاهدات وأساليب ومشكلات ونصوص ومؤلفات وأعمال أدبية وعلمية وفنية تبنى على أساس المناهج العامة، ولكنها متقدمة في مستواها، ومستوى التعلم الإبداعي والذي يهتم بتطوير المهارات والمبادرات الإبداعية الفردية من خلال إتاحة الفرص للطلبة كي يقوموا بأنفسهم بتحمل مسؤولية التعلم تحت إشراف المعلم وتوجيهه.

ومن الصعوبة بمكان اكتشاف الموهوبين ذوي الإعاقات، والتعرف عليهم من المربين والمعلمين وذلك لازدواجية موهبتهم مع إعاقاتهم وبالتالي يصعب على المعنيين إيجاد برامج تناسبهم وتساعد على تطوير وتنمية مواهبهم وقدراتهم بما يعزز جوانب القوة التي تميزهم، حيث يتم تشخيص الطلاب الموهوبين من ذوي الإعاقات بتحديد جانب أو أكثر من جوانب الموهبة التي تعكس قدراته وإمكاناته من خلال جوانب الموهبة مع تحديد مظاهرها وأهم ما يمكن فعله في سبيل تنميتها وتطويرها ورعايتها. وتختلف الطرق التي يتم بها اكتشاف مزدوجي الاستثناء ولا تقتصر فقط على الجانب العلمي والأكاديمي، بل تكون أسباب عدم اكتشافهم عائدة للبيئة الاجتماعية والمادية والطبية التي تعيق حصولهم على مستوى عالي من التحصيل الأكاديمي فقد يكون موهوباً في مجال آخر غير المجالات الأكاديمية، إن إجراءات التشخيص والتقييم تركز على تجديد مواطن الضعف والعجز، كما أن الاختبارات والمقاييس لم توضع بشكل خاص لهذه الفئة.

وينبغي على المختصين والمهتمين بهذه الفئة من الأشخاص تحديد محكات يتم الاعتماد عليها في عملية التشخيص مثل محك التميز النوعي والذي يشير إلى وجود صعوبة تعلم تتعلق بمجال معين من المجالات الأكاديمية أو الأدائية، ومحك التفاوت الذي يشير إلى اختلاف بين معدلات الذكاء ومستوى القدرة وبين الأداء الحقيقي للمستوى التحصيلي، ومحك الاستبعاد والذي من خلاله يمكن التفريق بين الموهوبين من ذوي صعوبات التعلم عن الإعاقات الأخرى، ومحك التباين الذي يميز من خلال بعض المؤشرات أداء الموهوبين من ذوي صعوبات التعلم ومقارنة بزملائهم الموهوبين ممن ليس لديهم صعوبات تعلم، وهذه المؤشرات هي: ضعف القدرة المكانية، وضعف الأداء اللفظي بشكل عام، وعدم القدرة على التمييز السمعي أو تمييز أصوات الكلمات والحروف.

كما يمكن اكتشاف الموهوبين ذوي الإعاقة أيضا من خلال عمليات خاصة لمعرفة جوانب القوة والضعف لديهم، والتي تتمثل في مستوى أدائهم على اختبار الذكاء بشكل عام، وملفات الإنجاز الأكاديمي، وتقييم الجانب الابتكاري، ونتائج الاختبارات التشخيصية لمستويات الأداء في المجالات التعليمية، وتقييم المعلمين وأولياء الأمور وطبيعة العلاقات الاجتماعية بينهم، وملاحظات المعلمين في الصفوف الدراسية، واختبارات قياس الاتجاهات وقياس التأخر الحركي البصري وتقييم القدرة التعبيرية المستخدمة. إن اكتشاف ورعاية الموهوبين تتطلب جهوداً مشتركة بين الإدارة المدرسية والمعلمين وأولياء الأمور والمجتمع المحلي، فبإمكانهم أن يتعلموا مثل الأشخاص العاديين مع تقديم الخدمات الصحيحة، وتعتبر إدارة المدرسة هي الطريق الوحيد لاكتشافهم، وقد تنجح المدرسة في أداء دورها في اكتشاف ورعاية مزدوجي الاستثناء مما يقلل من تأثير الإعاقة، والقدرة على تنمية مهاراتهم الاجتماعية والمهنية والحرفية لئلا يفتقد الموهبة التي يمكن أن يخدموا بها مجتمعاتهم.

تواجه المدرسة بعض المعوقات التي قد تحد من دور المدرسة في عملية التعرف على الطلبة مزدوجي الاستثناء، منها أن الطلاب مزدوجي الاستثناء لا يمكن تصنيفهم في فئة واحدة متجانسة، بل عدة فئات، وهذا يمثل صعوبة أساسية، يترتب عليها تحديد أدوات نوعية وتدريب المتخصصين على استخدام هذه الأدوات، إضافة إلى نوع برامج التدخل، كما أن التفاوت الذي يوجد بين الطلاب مزدوجي الاستثناء (كميا وكيفيا) في أدائهم الاختباري، وخصوصاً اختبارات الذكاء يؤثر على استجاباتهم الوجدانية والسلوكية ويعد تحديا كبيرا أما المدرسة في عملية التعرف والاكتشاف لهذه الفئة من الطلبة. كما أن معدل نمو الطلبة مزدوجي الاستثناء لا يسير بطريقة عادية، ومن ثم يمكن أن ينمو نمو غير متوازن، ويرجع تفاوت نمو هؤلاء الطلبة إلى أن نمط القدرات الخاصة لما يتعرض له من مثيرات وأساليب رعاية وظروف ثقافية واقتصادية واجتماعية محيطية. وللحيل الدفاعية التي يستخدمها الطلبة بكثرة، بسبب فشلهم واحباطهم المتكرر يعرقل عملية اكتشاف جوانب الموهبة لدى الطلبة، فمثلاً على الرغم من ارتفاع القدرة البصرية المكانية لديهم، يعاني بعضهم من صعوبات أكاديمية في القراءة والكتابة والهجاء، وكحيلة دفاعية يستخدمون التعميؤ، مما يظهر في الإنصات الجيد للمناقشات الصفية، والإكثار من توجيه الأسئلة، كما أن المعلمين وأولياء الأمور غالباً ما ينظرون إلى الإعاقات بمنظور تربوي، أكثر من منظور تشخيصي الذي قد يحتاج إلى تدخل طبي أحياناً. وكثيراً ما يُنظر إلى الموهوبين بوصفهم لامعين وفائقين بالقياس إلى أقرانهم، فأحياناً قد تلمس جوانب القوة جوانب الضعف وقد يحدث عكس ذلك. وقد يحتاج التعرف على مزدوجي الاستثناء إلى متخصص عالي الكفاءة للتعرف عليهم واكتشافهم. ومن التحديات التي تواجه المدرسة أيضاً قلّة عدد المعلمين المؤهلين للتعامل مع الطلبة مزدوجي الاستثناء، فضلاً عن عدد الإخصائيين النفسيين والاجتماعيين المدرسين، وضعف تعاون أولياء الأمور مع المدرسة نظراً لضعف الخدمات الإرشادية التي تقدم لهم، هذا بالإضافة إلى ضعف دور وسائل الإعلام في خدمة هذه الفئة.

وأخيرا يمكن أن تفيد بعض النصائح في تعزيز دور المدرسة في التعامل مع الطلبة مزدوجي الاستثناء، ومنها ضرورة تقديم مهام بسيطة لهم تعزيز نجاحهم في إنجازها مع تقديم الحوافز المعنوية، وتدريب المعلمين على استخدام مجموعات التركيز للكشف عن المواهب الطلابية، كما أن التدخل العلاجي المناسب في الوقت المناسب له دور مهم في التعامل مع هذه الفئة من الطلبة، وتدريبهم على بعض الأساليب التعويضية التي تساعدهم على النجاح في المهام التي يكلفون بها كاستخدام الحاسوب، والألة الحاسبة، والأدوات المساعدة لنوع الإعاقة، وللدعم العاطفي والاجتماعي والاستمرار في المشاركات الاجتماعية دور مهم في طرق التعامل مع الطلبة مزدوجي الاستثناء وتمكينهم .

انعكاسات برامج التلمذة للطلبة ذوي الموهبة



نوره سعد الدوسري

باحثة الدكتوراه تخصص تربية الموهوبين - جامعة الملك فيصل

التلمذة تعد توجهاً حديثاً من التوجهات التربوية، وهي تعتبر من أقوى وأكثر التوجهات تأثيراً وفعالية في المؤسسات التعليمية والتدريبية، ويعتبر برنامج التلمذة أداة تعليم وتدريب قوية ومؤثرة تهدف إلى تنمية المهارات الشخصية والاجتماعية والنفسية عن طريق تبادل الخبرات على أيدي نخبة من الرواد والخبراء في مختلف المجالات مما يسهم في تمكين المتعلمين والمتدربين من الاستفادة القصوى من قدراتهم وإمكانياتهم ومجالات اهتماماتهم. برامج التلمذة للطلبة ذوي الموهبة من أهم البرامج وأكثرها فعالية، وذلك لكونها تأتي في مضمونها على مزيج من أكثر من برنامج لرعاية الطلبة ذوي الموهبة، فقد تحتوي برامج التلمذة على إثراء وتسريع وتمايز وإرشاد في آن واحد من خلال تواصل ومتابعة مباشرة من قبل خبراء متخصصين في مجال أكاديمي علمي موضع اهتمام الطلبة ذوي الموهبة. وفي هذا المقال كان من الضروري التأكيد على بعض القضايا الهامة التي تواجه برامج التلمذة ذوي الموهبة ومنها:

انعكاسات المعنى الحقيقي لمفهوم برامج التلمذة وانعكاسات شخصية الخبير والمتعلم في سياقات برامج التلمذة.

انعكاسات المعنى الحقيقي لمفهوم برامج التلمذة

برامج التلمذة للطلبة ذوي الموهبة من أكثر البرامج التي تركز على تلبية الحاجات والقدرات والاهتمامات الفردية للطلاب، مع تكوين بناء معرفي عميق ومكثف عن طريق تواصل مباشر وإشراف ومتابعة من قبل خبير متخصص في مجال من ذات اهتمام الطالب ذوي الموهبة (الجفيمان، ٢٠١٨). يمكننا القول، أن التلمذة عملية يقوم من خلالها الخبراء الذين يملكون باعاً طويلاً وخبرة راسخة في مجال معين بنقل وتبادل هذه الخبرات عن طريق تلمذة وتوجيه المتعلمين من ذوي الموهبة الأقل خبرة في ذات المجال. وبالإمكان تعريف برامج التلمذة كما عرفها العرجي (٢٠٢٠) نقلاً عن (Alqahtani، ٢٠١٣)، "التلمذة mentoring: هي علاقة تطوير واهتمام ومشاركة يستثمر خلالها شخص ذو خبرة وقته ومعرفته وخبراته من أجل تطوير مهارات شخص ناشئ لديه استعداد ورغبة في تطوير مهاراته المعرفية والشخصية والمهنية، ويسمى طرف العلاقة الأول الخبير أو المرشد والموجه (mentor) والطرف الثاني الناشئ أو المتلقي والمستفيد (mentee)". ولكن التساؤل هنا هل هذا المعنى الحقيقي والدقيق للتلمذة هو المعنى المتعارف عليه والعمول به والذي يتم تنفيذه وتطبيقه من قبل الجهات المسؤولة في المؤسسات التعليمية والتدريبية؟ للإجابة على هذا التساؤل سوف نتناقص انعكاسات المعنى الحقيقي لمفهوم برامج التلمذة في موضعين وهما: التلمذة في سياق الترجمة وممارسات الجهات المسؤولة في تخطيط وتنفيذ برامج التلمذة.

التلمذة في سياق الترجمة

تبدو قضية اللبس في ترجمة كلمة التلمذة باللغة الإنجليزية Mentorship /Mentoring هي القضية الأبرز عند تناول برامج التلمذة في دراسات وأبحاث العالم العربي، حيث يتم ترجمة كلمة Mentorship /Mentoring بمعنى التوجيه والإرشاد في أغلب الأوقات، مما يدعو لسوء الفهم والخلط بين حقيقة برنامج التلمذة وبين برنامج الإرشاد والخدمات الإرشادية المقدمة لطلبة ذوي الموهبة. ذكر بعض المختصين في برامج رعاية الطلبة ذوي الموهبة وجود لبس في الفهم العام للمعنى الدقيق لمفهوم برامج التلمذة وكذلك بعض الممارسات الخاطئة من قبل الجهات المسؤولة وبعض المهتمين في مجال تربية ذوي الموهبة في تخطيط وتنفيذ برامج التلمذة. وفي دراسة قام به الباحث (Al-Qahtani ٢٠٢٠) وكانت بعنوان "Recent Trends in Mentoring and Counseling Programs for Talented Students in KSA Schools"، فقد ذكر في العنوان كلمة التلمذة باللغة الانجليزية من Mentoring ولكن في سياق الدراسة لم يتم ذكر برامج التلمذة بشكلها الصحيح أو الدقيق بل تم ذكر برامج الإرشاد والتوجيه التي تهتم بالجوانب النفسية والاجتماعية والشخصية للطلبة ذوي الموهبة في إغفال تام لطبيعة برامج التلمذة والممارسات الصحيحة لتنفيذها وتطبيقها في مراحل الرعاية والاهتمام بالطلبة ذوي الموهبة. كما أسهب القحطاني في دراسته في الحديث عن التلمذة كنوع من أنواع التوجيه والإرشاد ولم يتم ذكر التلمذة بشكلها الصحيح أو الخبير في سياقه الصحيح الدقيق خلال الدراسة ولم يتم ذكر مصطلح التلمذة Mentorship /Mentoring من مصطلحات الدراسة، في المقابل تم ذكر مصطلح Guidance الذي يعني باللغة العربية مصطلح التوجيه يبدو أن الباحث لديه لبس بين مصطلح التوجيه والإرشاد بشكل خاص كمصطلحات وكذلك برامج لرعاية ذوي الموهبة وهو يستخدم مصطلح التلمذة من Mentorship /Mentoring ويستخدم مصطلح التوجيه في أماكن أخرى.

ممارسات الجهات المسؤولة في تخطيط وتنفيذ برامج التلمذة

طرح الباحث العرجي (٢٠٢٠) في دراسته "واقع برامج التلمذة في المملكة العربية السعودية"، قضية بالغة الأهمية بشأن حقيقة فهم القائمين والجهات المسؤولة للمعنى الدقيق وطريقة تنفيذ وتطبيق برامج التلمذة، وأكد أن هنالك لبس وسوء فهم لطبيعة برامج التلمذة وغالباً يتم الخلط بينها وبين برامج التوجيه والإرشاد. وتعدى ذلك لطبيعة الخدمات المقدمة تحت مسمى برامج التلمذة من خدمات إرشادية وتوجيهية فقط، وقد يعود ذلك في الأصل إلى اللبس الذي قد يكون ناتج عن خطأ في الترجمة من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية وقد تكون الترجمة الحرفية لكلمة Mentorship / Mentoring هي باللغة العربية التوجيه أو الإرشاد، لكن هذه الترجمة غير دقيقة فكلمة Mentorship بترجمتها الدقيقة إلى اللغة العربية تعني التلمذة و Mentor تعني الخبير أو التلمذ. وقد ذكر برنامج التلمذة في جامعة الملك سعود كمثال على هذا اللبس وسوء الفهم، حيث يتم التعريف بالبرنامج على أنه "برنامج توجيه وإرشاد" كما أن الممارسات المطبقة جاءت في مضمونها كبرنامج إرشاد أكثر من كونها برنامج تلمذة، "تمكن الممارسة الجيدة للتوجيه والإرشاد الطلاب من تحقيق أهدافهم من خلال تشجيع ودعم النجاح في السعي إلى تحقيق الأهداف، والتكيف مع الأعراف الأكاديمية والاجتماعية والسياسية والثقافية للجامعة." (جامعة الملك سعود، ٢٠٢٣). كذلك، برنامج تلمذة موهبة المقدم من مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله للموهبة والإبداع الذي يقدم خدمات التلمذة ويوفر تواصل مباشر مع خبير في مجال تخصصي معين ولكن بهدف إعداد الطلبة ذوي الموهبة وتجهيزهم للانطلاق والمشاركة في الأولمبياد الوطني للإبداع العلمي، وهذا مخالف لأهداف وطبيعة برامج التلمذة التي يجب أن تكون مقيدة ومحصورة في فترة معينة، ناهيك عن قصر مدة البرنامج المتراوح بين ١٠ أسابيع إلى ١٤ أسبوع. لذا، تبدو برامج التلمذة المطبقة في المملكة العربية السعودية تقدم في مجملها خدمات التوجيه والإرشاد أكثر من خدمات التلمذة، كما يقوم الخبير بدور المرشد والموجه من خلال التوجيه والمشورة الشخصية والاجتماعية والنفسية وطرح بعض الاقتراحات والاستشارات.

انعكاسات شخصية الخبير والمتعلم في سياقات تنفيذ برامج التلمذة

الجدير بالذكر، أن برامج التلمذة لها انعكاسات فعالة ومؤثرة في شخصية الخبير والمتعلم حد سواء، ويجب أخذها في الحسبان عند تنفيذ وتطبيق برامج التلمذة ومن أبرزها: علاقة برامج التلمذة بتخليد الخبرات العظيمة وعلاقة برامج التلمذة بمبدأ المثل الأعلى "The Concept of Role Model".

علاقة برامج التلمذة بتخليد الخبرات العظيمة

تعد الخبرة من أهم أشكال العلم والمعرفة عبر التاريخ التي تشكل جزءاً هاماً من أجزاء التكوين البشري، وبالرغم من ذلك إلا أن هنالك الكثير من الخبرات العظيمة لم يتم تخليدها في سطور وصفحات الكتب، بل تم نقلها وتناقلها بين الناس المقربين من أصحاب الخبرات. لذلك، يبدو من الصعب حصر الخبرات وتخليد هذه المعرفة وهذا العلم إلا من خلال التواصل والاحتكاك المباشر والمعايشة الفعلية مع الخبراء وأصحاب الخبرات العظيمة. ومن هنا تنبع أهمية برامج التلمذة، حيث يستطيع الخبراء وأصحاب الخبرات العظيمة في شتى المجالات المختلفة نقل خبراتهم عن طريق التواصل المباشر مع المتعلمين والمدرّبين بهدف نقل وتخليد هذه المعلومات والمعارف والخبرات العظيمة. لذا يلعب الخبير دوراً أساسياً في نقل هذه الخبرات والمعارف للمتعلمين والمدرّبين من خلال برامج التلمذة وهي في الحقيقة برامج هامة على الصعيد العلمي والمهني والاجتماعي والنفسي وتشكل حاجة إنسانية هامة لتعزيز الإحساس بالانتماء ورفع مستوى الحس المجتمعي للفرد كجزء من المجتمع، وكذلك الحاجة إلى المشاركة مع الآخرين ذات الاهتمامات والميول. ومما لا شك فيه، أن التعليم بالخبرة يعد من أعظم أنواع التعليم وأكثرها صلابة وتمكين للقدرات والإمكانات البشرية، فهي عملية تعليمية لا تتبع منهج أو مقرر معين ولا تحتوي على محتوى معرفي محدد تتنبأ بنتائج متوقعة، كما أن الخبير يتخذ في برامج التلمذة دور ثابت في حياة طلابه كمعلم وموجه ويكون جزء من عملية نمو وتطور قدراتهم وشخصياتهم، بالإضافة إلى كونه جزء من إنجازاتهم وقصص نجاحهم.

علاقة برامج التلمذة بمبدأ المثل الأعلى "The Concept of Role Model"

لطالما ارتبطت برامج التلمذة منذ نشأتها بمبدأ المثل الأعلى "The Concept of Role Model"، حيث يكون الخبير هو المثل الأعلى والقُدوة لطلابه خلال عملية التلمذة في مجال معين موضع اهتمامهم، لذا يسعى هذا الخبير إلى مساعدة المتعلم أو المدرّب في تعميق فهمه وتكوين الخبرات المعرفية والعلمية والعملية في مجال الاهتمام المشترك، لكنها ليست علاقات تقليدية بين المعلم والطالب بل تأخذ شكل شراكات متساوية يتم تشكيلها في عملية تعليمية موجهة ومنظمة ثنائي المنفعة، حيث يتفاعل الخبير والمتعلم أو المدرّب على أساس فردي لوضع خطة لدمج المهارات والمعارف لتلبية احتياجات وقدرات ورغبات المتعلم أو المدرّب (Whitton & Siegle ١٩٩٤). قد تأتي التلمذة بعدة أشكال كالتلمذة من المعلم للطلاب ومن الأب للابن وغيرها من أنواع التلمذة غير المباشرة، فهناك دائماً خبير حول المتعلم قد يكون أحد الوالدين أو معلم أو صديق أو قريب الذي بإمكانه أن يكون خبير متخصص في مجال اهتمام المتعلم ويمثل المثل الأعلى أو القدوة فيه حياته، ولكن برامج التلمذة الخاصة بالطلبة ذوي الموهبة تتخذ أشكال محددة ومنظمة من العلاقات والتواصل التي يتم فيها نقل وتبادل الخبرات والمعارف بشكلها الصحيح والمناسب بين الخبير والمتعلم أو المدرّب.

وفي هذا المقام، لا بد من التأكيد على سمات وخصائص جوهرية يجب أن يتسم بها الخبير في برامج التلمذة منها: امتلاك الخبرة الكافية في مجال اهتمام الطالب، الرغبة في مشاركة تلك الخبرة والمعرفة مع الطالب، الانفتاح على العمل مع الطلاب، بالإضافة إلى الحساسية العالية تجاه الاحتياجات الخاصة للطلبة ذوي الموهبة وخصائصهم (Bisland ٢٠٠١).

كما ذكر (Freeman ٢٠٠١) أن برامج التلمذة تعد من أقوى البرامج المقدمة لرعاية الطلبة ذوي الموهبة، لما فيها من اتصال مباشر مع خبير من ذات مجال الاهتمام وكذلك فيها مراعاة لقدرات والإمكانات الفردية للطلبة ذوي الموهبة بسبب عدم تزامن عمرهم العقلي مع عمرهم الزمني، مما قد يؤدي إلى شعورهم بأنهم غير متوافقين مع أقرانهم في العمر. لذا، تتمكن برامج التلمذة من مساعدتهم في التواصل مع الخبراء وتبادل الخبرات معهم وتعزيز الشعور بالانتماء وزيادة تقديرهم لذاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم. كما أكد بعض العلماء والتربويين على أهمية برامج التلمذة حتى على الصعيد الشخصي والاجتماعي والنفسي وليس فقط التعليمي والتدريبي منها، فالخبراء بإمكانهم دعم المتعلمين والمتدربين شخصياً واجتماعياً ونفسياً خلال مسيرة حياتهم وعلى جميع الأصعدة وفي شتى جوانب الحياة، مع التأكيد على مفهوم تأصيل الذات والهوية الشخصية للمتعلم وعدم انتحال واستنساخ شخصية الخبير (Ambrose et al ١٩٩٤).

استخلاصاً لما سبق، لا مجال للخلاف على الأهمية الجوهرية لبرامج التلمذة للطلبة ذوي الموهبة ومائها من منافع وإسهامات جمة في صالح الطرفين الخبير والمتعلم. من الإسهامات العظيمة للخبير في برامج التلمذة هو اختصار مسيرة المتعلم وخطواته المتخبطة والمتعثرة في مسارات واتجاهات مستقبلية عديدة ببناء رؤية مستقبلية واضحة وخطوات دقيقة في طريق ومجال محدد بعينه يعكس شغفه وحبه لمجال معين. وكذلك المتعلم بإمكانه المساهمة في تعزيز إنجازات الخبير من خلال تعظيم الاستفادة من كل ما هو حديث في مجال اهتمامهم بشكل عام والمجال التكنولوجي بشكل خاص. كما يجدر بنا ذكر الجهود المبذولة في رعاية الطلبة ذوي الموهبة في المملكة العربية السعودية، ولكن بالرغم من التقدم والسعي الحثيث من قبل المسؤولين في وزارة التعليم ومؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله للموهبة والإبداع في تكثيف الجهود للتعرف على الطلبة ذوي الموهبة وتوفير كافة خدمات التنمية والرعاية، إلا أن الجهود المبذولة في برامج تلمذة ذوي الموهبة ليست بحجم أهمية وضرورة برامج التلمذة ذاتها والجهات المسؤولة لازالت في حالة تخبط وسوء فهم للمعنى الدقيق لبرامج التلمذة والخدمات المقدمة التي يجب أن تمثل برامج التلمذة بشكلها الدقيق، لذا يجب أن تكثف الجهود لزيادة الوعي بمفهوم التلمذة والخدمات والممارسات التي يجب تقديمها في برامج التلمذة مع تعزيز علاقة الخبير والمتعلم بما فيها من انعكاسات ومنافع من نقل وتبادل الخبرات والمعارف بينهم وتخليدها للأجيال القادمة على مر العصور.

المواهب الإبداعية



د. أنيس عبد اللطيف مشعل

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

يتردد في كثير من المجالات كلمات ذات دلالات إيحاءية؛ نحو: هبة، موهبة، موهوب، إبداع، إبداعي، مبدع... وهذه السمات تقتصر على عدد قليل من الناس، فما حقيقة ذلك؟ وما ضوابطه؟

وللإجابة على هذا التساؤل يجدر بنا أولاً أن نتأمل الدلالة التعبيرية والسياقية لهذه الكلمات مشمولتة في تعبير: المواهب الإبداعية؛ وإذن فالمواهب جمع موهبة؛ وهي العطاء الخالي عن الأعواض والأغراض؛ والإبداع: الإنشاء ابتداء على غير أنساق؛ آية ذلك، أن الموهبة الإبداعية هي طاقة ابتكارية هائلة، أو قدرة اختراعية خلاقة، أو إمكانية استحداثية أو فطرة مهارية، وسمات تفردية يختص بها قليل من الناس، تمنحهم تفوقاً خاصاً في القدرات العقلية، وارتقاء في الإمكانيات المهارية الخاصة فوق العادة والمألوف، وهذه الصفات لا يؤتاها إلا الأقلون.

وتتنوع المجالات التي تتجلى فيها مواهب الموهوبين؛ فثم مواهب عقلية علمية اكتشافية أو ابتكارية؛ وتشمل كل ميادين العلم والمعرفة، قوامها التأمل، وعمادها التفكير، ووسائلها التجريب والتطوير، تغير وجه الحياة، وتمدها بكل ما ينفعها، بتطور يذهل العقل؛ كما في اختراع التقنيات الدقيقة، والوسائل المعينة النافعة، سيما في الطب والأدوية، والتعليم، والصناعة، والأجهزة، والمصانع، والمعدات، والزراعة... وكل مجالات الحياة، ويجد الموهوبون في ذلك متعة عظيمة خاصة حين تتوج محاولاتهم بالنجاح. وثم مواهب أخرى تقوم على التفرد في مهارات خاصة؛ كالتمهر في ممارسة الرياضات البدنية النافعة؛ من سباحة، وفروسية، وألعاب رياضية كثيرة؛ ككرة القدم والسلة والتنس والسرعة... وألعاب رياضية عنيفة للدفاع عن النفس؛ كالفنون القتالية المتنوعة، وألعاب القوى... وثم أيضاً مواهب جمالية تقوم على رهافة الحس، والتذوق الجمالي؛ كالموسيقى وما يتعلق بها من التأليف الموسيقي، ومهارات العزف والأداء بالآلات الموسيقية المتنوعة، والموهبة الصوتية التي تتجلى في الأداء الصوتي المتفرد بصور متنوعة كقراءات القرآن الكريم والخطابة والإنشاد والتوشيح والابتهال، أو في الغناء الفردي أو الجماعي، وثم مواهب في العلوم الإنسانية خاصة العلوم اللغوية، والمواهب الأدبية التي براعة إنتاج الأجناس الأدبية الراقية المتنوعة الشعرية والنثرية، ومنها قصائد الشعر العمودي، والحر، والقصيدة النثرية، والقصة والأقصوصة والرواية والمقامة والمسرحية، والمسرحية الشعرية،... وثم المواهب المهارية المجسدة لجمال الفنون التشكيلية والتذوق الفني البصري؛ كالتحضر بكيفياته الرائعة، والرسم بأنواعه ومدارسه، واستعراض البراعة في تأليف الألوان والظلال، وكذا في الخطوط العربية والزخارف الإسلامية وغيرها... ومن بين هؤلاء الموهوبين يخرج رواد العلم والفكر والفن والحضارة في كل زمان ومكان؛ يحملون راية التقدم والتحضر والعطاء، والإسهام في التنمية الشاملة، يهدون السبل، وينثرون الدروب.

تبدو أمارات النُجُب ودلائل الموهبة منذ الولادة، وتتجلى إرهاباتها في مراحل باكورة من حياة أولئك الموهوبين، يلحظها المحيطون بهم بجلاء، ويعيها المعاشون لهم بوضوح، بيد أن مثل هذه الموهبة كمثال النبتة النابتة، فإنها رهينة بقدر ما تحظى به من الرعاية والعناية، فيجب على الأسرة متى أدركت هذه الموهبة أن تكون بيئة إيجابية داعمة، توليها عناية خاصة، وتنعدها بالتنمية، وتتولى توفير سبل تنمية جوانب التفرد والتميز، مع دقة الملاحظة، ولتف الانتباه، مع الإصغاء الجيد وشدة التركيز، وإبداء الثقة وإكسابها، ومضاعفة الاهتمام، ومنح التقدير وإبرازه، وتذليل الصعاب، وإزالة العوائق، والتماس السبل العلمية لرعاية هذه الموهبة، وتشجيعها ودعمها... وما أعظم أن تتواصل الجهود ويتضاعف المجهود، حين يأتي دور المؤسسات التعليمية والأكاديميات العلمية؛ ليتناغم مع صنع الأسرة، ويبدأ من حيث انتهت، فتزداد أيدينا تماسكا، وإرادتنا إصرارا، وخطانا ثقة واعتدالا، وتفيض الأفئدة إيمانا بثمرة هذه الموهبة، وانعكاساتها على الفرد والأسرة والمجتمع.

كالبحر يمحطه السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

وفي ظل النهضة الحديثة، ورؤى استشراف المستقبل بوعي وثبات، تعنى المؤسسات التعليمية باكتشاف أصحاب المواهب الإبداعية من خلال مجموعة من الاستراتيجيات والمهام والخطط، وتوسيع دوائر الأنشطة والاهتمامات، ونشر ثقافة الموهبة، وتعزيز العناية بالموهوبين، والتعاون مع أسرهم، وتعريف اتجاهاتهم واحتياجاتهم ومشكلاتهم، ودراسة أنماط سلوكهم، ودوافعهم، وقيمهم ومعتقداتهم، واتجاهاتهم وأهدافهم... مع وضع الخطط المطورة، واختصاصهم بتعليم عالي الجودة والنوعية والتميز في المجالات المعرفية المناسبة لطبيعة كل موهبة، ومتابعة كل جديد في هذا الاتجاه.

وهناك قضية جديرة بالتأمل، وهي حقيقة الموهبة؛ إذ يتواضع كثير من الناس على لدنية الموهبة؛ أي إنها موقوفة لله تعالى يمتن بها على بعض خلقه، وهذا حق، لكنهم يعممون فيجدون دور الاجتهاد، ولا يعترفون بالتعلم والاكساب! وهذا فهم خطأ، يُورث اليأس والقنوط، ويقعد عن كل فضل ومكرمة، وهو تكأة الراكنين إلى الدعة من الكسالى والمتناقلين إلى الأرض، وذريعة المترخين والمتخاذلين عن النهوض وبذل الجهد... لا ننكر أن هناك مننا ربانية لا اجتهاد معها، ولا سبيل إلى اكتسابها، كما في خصوصية الخلق أو جمال الصوت ونحوه مما لا فضل فيه لصاحبه، وكما في الاختصاص بأشياء خارقة كعجرات الأنبياء... ولكن هناك موهبة يمكن اكتسابها وتعلمها؛ فعلى حين قال تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء...) وذلك إذن من هباته، فإنه لم يمنع تعلم الحكمة، وكذلك نجد كثيرا من المواهب ممكنة الاكتساب بالتعلم والمحاكاة كما في تعلم المهارات وتنميتها، والفنون والآداب، والرياضات، وهنا يصرح بعضهم بأن النجاح 1٪ موهبة و 99٪ اجتهادا، ولعله يكون مصداقا لقوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)، وإن في ذلك لبلاغاً، والله الموفق.

مختبرات الابتكار: منصات المستقبل لتطوير المجتمعات



د. شعيب جمال محمد صالح

أستاذ مشارك بالمركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع

هل تمتلك مؤسستك مساحةً أو فريضةً مخصصةً لتسهيل عمليات حل المشكلات وتصميم السياسات أو الخدمات؟
"مختبر العقول" أو "مختبر الابتكار" هو نموذج مبتكر لتحقيق ذلك.

في عصر يتميز بالتغيرات السريعة والتحديات المتزايدة، أصبحت مختبرات الابتكار أكثر أهمية من أي وقت مضى. هذه المختبرات ليست مجرد أماكن لتطوير الأفكار، بل هي منصات تجمع بين العقول المبدعة، الموارد المتنوعة، والتكنولوجيا المتطورة بهدف تقديم حلول متكاملة ومستدامة لمشكلات الحاضر واستشراف تحديات المستقبل. تطوير مختبرات الابتكار وتعزيز دورها يتطلب فهماً أعمق لإمكاناتها، وتبني استراتيجيات مبتكرة تحقق أهداف التنمية الشاملة.

تجربة مختبرات الابتكار تُعد قصة طموحة تهدف إلى تغيير العقلية التي تدير القطاع العام، قبل أن تكون مجرد مبادرة لتحسين الممارسات. هذه المقالة تسلط الضوء على مفهوم الابتكار التعاوني القائم على التفاعل والتعلم المتبادل بين الأطراف المعنية، والذي يُدار من خلال منصات مخصصة مثل مختبرات الابتكار، مع التركيز على التجربة الدنماركية في تطوير هذا النهج المبتكر والمعروف باسم "مختبرات العقول" أو "مختبرات الابتكار".

مفهوم مختبر الابتكار: مختبر الابتكار هو مساحة عمل مادية، ومنطقة محايدة للإلهام والإبداع والتعاون. يعمل المختبر عبر عدة قطاعات حكومية، وتشكل أول مختبر (في الدنمارك) من مجموعة من موظفي الخدمة المدنية في ثلاث وزارات رئيسية هي: وزارة الأعمال والتنمية، وزارة الضرائب، ووزارة العمل. تغطي هذه الوزارات الثلاثة مجالات السياسة العامة التي تؤثر على الحياة اليومية لجميع الدانماركيين تقريباً.

يتركز العمل في مختبرات الابتكار على تقليل مدة اتخاذ القرار من خلال تطوير السياسات التي تتطلب التنسيق بين عدة جهات حكومية، ووفقاً لبيانات مختبرات الابتكار في السنوات التي تلت انشائها، أجرى فريق العمل العديد من ورش العمل في الوزارة والوكالات التابعة لها، وكانت هذه الورش تسعى إلى تطوير حلول مبتكرة للتحديات الواردة في صنع السياسات بعيداً عن الطرق التقليدية مثل كتابة الأوراق والتوصيات وإجراء الاجتماعات العادية، وشكلت هذه المختبرات حافزاً لتطوير السياسات وتغيير طرق الوزارات في العمل وثقافتها حيال حل المشكلات.

كانت فكرة مختبر الابتكار فكرة طموحة ومبتكرة أسهمت في تغيير عقلية العاملين في القطاع العام، وأسهمت في دفع عجلة الابتكار في القطاع العام، والتركيز على حلول ابتكارية للتحديات التنموية. وشكل الدعم الحكومي من خلال المسؤولين جزءاً رئيسياً في رفع الأداء وسهولة صناعة القرار. وقد ركز عمل المختبر على رفع مستوى وعي الموظفين الحكوميين لفهم احتياجات المواطنين وتدريبهم على النظر في الأمور من جانب مختلف. كما ركز المختبر على دوره كممنصة محايدة لتمكين العاملين في القطاع العام والخاص والمواطنين من إيجاد الحلول والسياسات المناسبة للتحديات التنموية. ومثلت مشاركة القدرات والطاقات البشرية من مختلف القطاعات جزءاً رئيسياً من نجاح معالم الابتكار. وقد لا يكون مفاجئاً أن هذه المختبرات اهتمت بشكل كبير بتطوير مواقع العمل، وخلق هوية وصورة إيجابية في أذهان المواطنين والموظفين.

تستند منهجية مختبرات الابتكار على استخدام أساليب الأثنوجرافيا (العمل الميداني التطبيقي) والتصميم، مثل النماذج الأولية السريعة والاختبار، للمشاركة في خلق حلول لمشكلات القطاع العام مع المواطنين والشركات والوكالات الحكومية. وقد أتاح دمج التصميم الجديد وسيلة مبتكرة أمكن من خلالها لأصحاب المصلحة في القطاع العام أن يعيدوا تصور المشكلات والفرص.

وقد مكن التفكير التصميمي لـ "مختبر الابتكار" والعديد من الأفكار المشابهة في جميع أنحاء العالم، من فهم توجيه وقيادة السلوك، لتجربة وخلق لغة مشتركة بين المواطنين وموظفي الخدمة المدنية. يقوم موظفو مختبر الابتكار بإجراء مقابلات شبه منظمة في الميدان استناداً إلى فرضية تنبثق من البحث الأولي واستكشاف القضايا. ويمكن لأعضاء الفريق إجراء دراسات رصدية لمعرفة ما يفعله الناس بالفعل في بيئاتهم الطبيعية، وليس فقط ما يقولونه أنهم يقومون به. يشارك المختبر في جلسات إبداع مشتركة مع المواطنين والخبراء وأصحاب المصلحة ذوي الصلة من أجل التوصل إلى المزيد من الأفكار والنماذج. وتتضمن النماذج الأولية السريعة إنشاء أشياء ملموسة ومادية لفهم ما لا يمكن تفسيره بسهولة أو فهمه على الفور. بعدها يتم اختبار النموذج الأولي، حتى يتمكن الأفراد من إضافة وضبط الحل.

لماذا مختبرات الابتكار؟ نشأت مختبرات الابتكار كمحاولة لخلق استجابة تنظيمية لمجموعة من الحواجز التي اصطفتها الممارسات البيروقراطية أمام الابتكار. وتستند مختبرات الابتكار إلى فكرة أن الكفاءات والعقلية اللازمة للابتكار المنهجي ليست هي نفسها تلك المطلوبة لتنفيذ المهام والخدمات التنفيذية اليومية، ولا هي حتى تلك الكفاءات المطلوبة لتصميم المشاريع الخطية التقليدية. تسعى مختبرات الابتكار إلى توفير النهج والمهارات والنماذج والأدوات التي يتجاوزها عادة معظم الموظفين المديرين. استدعى ذلك خلق مساحات "آمنة" مخصصة للتعاون على الابتكار عبر الوحدات والإدارات والقطاعات.

إن الابتكار يحتاج إلى بيئة حيث تكون العملية الإبداعية في المركز. مكان تكون فيه عملية الابتكار نظام مهني وليس حدثاً نادراً، وحيث يمكن للعاملين أن يجتمعوا، ويتفاعلوا، ويجربوا ويبنوا نموذج وحلول جديدة. لكن للأسف كثيراً ما يتصادم ذلك مع البيئة والغرائز الأساسية للمنظمات العامة. وقد أقر عدد متزايد من المنظمات العامة بالحاجة إلى إضفاء الطابع المؤسسي على الابتكار. المملكة المتحدة لديها حالياً مختبرات مثل مختبر مقاطعة كينت للابتكار الاجتماعي، وقسم الابتكار والمهارات وإدارة الأعمال، والوقف الوطني للعلوم والتكنولوجيا والفنون. ولدى وزارة الأشغال العامة وإدارة المياه في هولندا مركز المستقبل تابع لوزارة المالية. ويبدو أن مختبرات الابتكار على الطريق لتصبح جزءاً من البنية التحتية الاجتماعية للمنظمات العامة الحديثة.

عوائق الابتكار في القطاع العام: تظهر الأبحاث أن غالبية المنظمات العامة تركز على العمليات الإدارية الداخلية، ونادراً ما يتم توجيه العمل بها إلى الابتكار. ويتميز القطاع العام بوجود العديد من الحواجز التي تحول دون الابتكار، إضافة إلى نقص الوعي أو المعرفة بعملية الابتكار، فلدينا موروثات يمكن أن تحطم أي جهد ابتكاري. وتتمثل أهم العوائق الرئيسية أمام ابتكار القطاع العام في: انعدام الخبرة والكفاءة في إدارة عملية الابتكار؛ ورغبة القيادات في السيطرة والحفاظ على السلطة، بدلاً من تقاسمها؛ كما أن هناك اتجاه متأصل لمقاومة بدور الابتكار، فمنظمات القطاع العام لا تكاد تمارس أي وسائل للابتكار. وعلى الرغم من الدعوية الكبيرة للابتكار وريادة الأعمال، فعالية القطاعات العامة هرمية جداً وبيروقراطية. إضافة إلى ذلك، فإن احتمالات التعاون، وربما الرغبة في التعاون، ليست موجودة بين أقسامها، حتى إن البعض قد يقول ساخراً إن مؤسسات القطاع العام قد بنيت لمحاربة الابتكار وليس لتعزيزه. وفي القطاعات الحكومية غالباً ما يكون هناك عدم استعداد لاستكشاف الأفكار والحلول الجديدة. إن حاجز الابتكار الرئيسي في معظم المنظمات هو أن المنظمات لا تسمح للمشاريع المبتكرة لأن تذهب بعيداً، فمعظم المنظمات العامة بشكل حدسي لا تسعى إلى أن تكون في طليعة أجندة التغيير. وعادة ما ترغب في أخذ المخاطر بالتغيير، بل تسعى إلى تثبيط تجريب الأفكار الجديدة.

يبدو أن منظمات القطاع العام جيدة جداً في تحسين كيفية القيام بالأمر بشكل صحيح (خلق بيروقراطية سلسة)، ولكن ليس بالضرورة كيفية القيام بالشيء الصحيح (معالجة الاحتياجات الفعلية للمواطنين الذين تخدمهم). وفي أحسن الأحوال، تعمل منظمات القطاع العام بشكل خطي جداً. لكن الابتكار بحاجة أكبر إلى التركيز على عمليات التشكيل، والعمليات التعاونية المفتوحة، التصور، النماذج الأولية، الاختبار، والتجريب. وكثير من منظمات القطاع العام لم تقم ببناء القدرات بين القادة والموظفين، التي تمكنهم من القيام بهذه هذه العمليات. وختاماً تعتبر مختبرات الابتكار هي المحرك الأساسي للتحويل نحو مستقبل أكثر إشراقاً.

من خلال تبني استراتيجيات مبتكرة، وتوفير الموارد اللازمة، وتعزيز التعاون بين جميع الأطراف، يمكن لهذه المختبرات أن تصبح مركزاً للتفوق والإبداع. إن الاستثمار في تطوير مختبرات الابتكار ليس مجرد خيار، بل هو ضرورة لتحقيق التنمية المستدامة وتعزيز رفاهية المجتمعات في مواجهة التحديات الحالية والمستقبلية.

تواصل معنا

المركز الوطني لأبحاث الموهبة والابداع

جامعة الملك فيصل

الأحساء، المملكة العربية السعودية

٠٠٩٦٦١٣٥٨٩٨٨٢٢ تحويلة ٨٨٢٢

مدير المركز د. عادل بن أحمد الشعيبي

nrcgc@kfu.edu.sa

واتساب: ٠٠٩٦٦١٣٥٨٩٥٥٢٠



KFU
جامعة الملك فيصل
KING FAISAL UNIVERSITY
جامعة ووطن.. نماء.. واستدامة..

The National Research Center for
المركز الوطني للأبحاث
Giftedness and Creativity **الموهبة والإبداع**



NRCGC